

**نقض مزاعم جولدتسيهر على إمام التفسير
الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما**

إعداد

د/ منى عبد الله إبراهيم العزبي

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات ببورسعيد

من ٦٦٣ إلى ٧٥٨



نقض مزاعم جولدتسيهر على إمام التفسير الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
 منى عبد الله إبراهيم العزبي
 قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ببورسعيد جامعة الأزهر
 البريد الإلكتروني: alporsh@gmail.com
 الملخص:

فهذه نبذة مختصرة عن أهم ما اشتمل عليه هذا البحث الموجز، الذي هو بعنوان: "نقض مزاعم جولدتسيهر على إمام التفسير الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما"، وقد اشتمل هذا البحث على: مقدمة، وفصلين، وخاتمة.
 أما المقدمة: فقد تحدثت فيها عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث، والمنهج المتبع في كتابة البحث، وأما الفصل الأول "التمهيدي" فقد اشتمل على خمسة مباحث رئيسة: المبحث الأول: تعريف التفسير لغة واصطلاحاً، المبحث الثاني: نشأة علم التفسير ومدارسه وأئمنته في القرون الهجرية الأولى، المبحث الثالث: التعريف بإمام التفسير عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، المبحث الرابع: مدخل إلى الاستشراق: "تعريفه، وأهدافه، ونشأته"، المبحث الخامس: التعريف بالمستشرق اليهودي جولدتسيهر وموقفه من الإسلام، وأما الفصل الثاني فقد اشتمل على جزء الدراسة وهو: تفنيد المزاعم الباطلة التي ادعاها المستشرق جولدتسيهر على الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وأجملتها في سبعة مباحث: المبحث الأول: الزعم أن ابن عباس رضي الله عنهما تلقى بنفسه في اتصاله الوثيق بالرسول صلى الله عليه وسلم وجوه التفسير التي يوثق بها وحدها، وتفنيدها ذلك والرد عليه، المبحث الثاني: الزعم بتوسعه رضي الله عنه في الأخذ عن أهل الكتاب، وتفنيده ذلك والرد عليه، المبحث الثالث: الزعم برجوعه رضي الله عنه إلى الشعراء القدامى الذين كان يرى الاعتداد باستعمالهم اللغوي في التفسير، وتفنيده ذلك والرد عليه، المبحث الرابع: الزعم بكتمانه رضي الله عنه كثيراً من العلوم، وتفنيده ذلك والرد عليه، المبحث الخامس: الزعم بعرضه رضي الله عنه الأخبار الإسلامية أحياناً في مظهر مسرحي زاخر بالحياة، وتفنيده ذلك والرد عليه، المبحث السادس: الزعم بظهوره رضي الله عنه كمنبيء بأخبار الغيب، وأحياناً كأنه مظهر إلهي، وتفنيده ذلك والرد عليه، المبحث السابع: الزعم بكون أسانيد التفسير المنسوبة إليه رضي الله عنه مطعوناً فيها، وتفنيده ذلك والرد عليه.

ثم ختمت البحث بالنتائج التي توصلت إليها، ثم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها.
 أسأل الله تعالى التوفيق والسداد، والقبول والرشاد، إنه بكل جميل كفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وأن يجعل عملنا في ميزان الحسنات، ورفيع الدرجات، حامدة لله رب العالمين، ومصلية على المصطفى الأمين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.
 الكلمات المفتاحية: نقض، مزاعم، مستشرق، جولدتسيهر، التفسير، صحابي.

**Refuting Goldziher's claims against the imam of the venerable Sahaba
interpretation Abdullah bin Abbas**

Mona Abdullah Ibrahim Al-Azbi

**Department of Interpretation and Qur'anic Sciences at the Faculty of Islamic
and Arab Studies for Girls in Port Said Al-Azhar University**

Email: alporsh@gmail.com

Summary:

This is a brief summary of the most important aspects of this brief research, entitled: "Refuting Goldziher's claims against the imam of the venerable Sahaba interpretation Abdullah bin Abbas, god bless them," this research included: an introduction, two chapters, and a conclusion.

The introduction included five main investigations: the first: the definition of interpretation in language and terminology, the second topic: the genesis of the science of interpretation, its schools and its imams in the first Hijri centuries, the third topic: the definition of imam of interpretation Abdullah bin Abbas, god bless them, the fourth topic: an introduction to orientalism. "Definition, objectives, and origins", The Fifth Topic: Introducing the Jewish Orientalist Goldtsher and his position on Islam, and the second chapter included the part of the study: refuting the false claims made by the Orientalist Goldtsihr on the venerable Sahabi Abdullah bin Abbas, may God bless them, and i have outlined them in seven investigations: the first: the claim that Ibn Abbas, may God bless them, received himself in his close contact with the Prophet(peace be upon him) and the faces of interpretation that he documents alone, and refutes that and responds to it, the second topic The third is the claim that he returned to the old poets, who saw the recidivism of their linguistic use in interpretation, and refuted that and responded to it, the fourth: claiming to be content with god's satisfaction with many sciences, refuting that and responding to it, the fifth subject: claiming to be accepted by God, sometimes in a theatrical appearance full of life, and refuting that and responding to it, the sixth, the sixth. The claim that he appeared as a prophet of the news of the unseen, sometimes as if it were a divine manifestation, and refuted that and responded to it, the seventh question: the claim that the saines of the interpretation attributed to him are challenged, and that is refuted and answered.

The research was then concluded with its findings, and then the sources and references on which it was based .

I ask God to reconcile and repay, acceptance and guidance, that he is beautifully a sponsor, and he is our destiny and the best of the agent, and to make our work in the balance of goodness, high grades, as a prayer to God the Lord of the Worlds, and a prayer to the faithful Mustafa, and to his good and pure family and companions.

Keywords: rebuttal, allegations, orientalist, goldiesher, interpretation, companions.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(مقدمة)

الحمد لله الذي أنزل كتابه المصون، وتكفل بحفظه فقال: {إِنَّا نَحْنُ
نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}، حمدا يليق بجلاله وينبغي لكماله،
والصلاة والسلام على أكمل الوري، وأفضل من وطأ الثرى، نبينا محمد
سيد الأولين والآخرين، ورحمة الله للعالمين، صلاة تستفتح بها
الدعوات، وتستمطر بها الرحمات، وتستكشف بها الكريات، وعلى آله
الطيبين الطاهرين، وأصحابه المصطفين الميامين، وبعد:-

فإن الله تعالى مذ أنزل الكتاب بالحق فحتم به الرسالات، وجعله
مهيمننا على ما سبقه من التشريعات، تبيانا للحقائق، وتفصيلا
للدقائق، وهاديا إلى صراطه المستقيم، ومبشرا بالخير العميم، فاستقام
بهديه المعوج، واستنار بنوره المستبصرون من كل فج، فانبلج النور
من الظلام، وتلجج الباطل وانتكست منه الأعلام، أعجز الفصحاء
بنظمه، وأبهر الحكماء بحكمه، وأعجز الثقلين عن محاكاة آيه
ومضاهاة سوره، ولا زال الإعجاز باقيا حتى ينفخ إسرافيل في صوره،
تربص بالرسالة أهل الارتياب، واستفتحو ليولوجوا الشك من كل باب،
حتى إذا أعجزهم الأحكام، وشاخت بما حاكوا تحايلا منهم الأيام، عمدوا
إلى الصحب طعنا، ودرسوا بين ثنايا كتبهم ما ساموه ظنا، إذ هم حبل
الوصل، ومربط الأصل، فإذا انحل ما بقيت للمسلمين أصول، وما
صحت لهم بعدُ نقول، وهل تهتدي السفين في البحر إلا بالمنارة؟!،
وهل يُنتظر بعد اقتلاع القلاع نصرٌ إذا وقعت إغارة؟!،

ولازالت أحلامهم في نيل المطامع، واجتماعاتهم لأجل ذلك تشهدها
سراديب المجامع، حتى إذا بلغوا القرن السادس عشر من الميلاد،
يمموا نحو الشرق يرغبون في دراسة علوم أهل المشرق بما يقرر
الأعماق، ويؤسسون سرايا في ظل ما اصطلحوا عليه من الاستشراق.

وما زالوا يلتمسون فيما بينهم من يصلح للمهمة، ويرسلون البعثات سعياً لمبتغاهم، حتى عكف "تولدكه"^١ وإخوانه^٢ على القرآن يدرسون تاريخه^٣، ويخطون تأريخه، فتمر سبعون سنة ونيف^٤ يبحثون فيها عن ثغرة، ويرجون أن يذوقوا من بذر الشك ثمرة، فما نالوا من ذلك شيئاً إلا بث مزارع الإسلام منها براء، ولا زالوا يبحثون، حتى جاء المستشرق الألماني اليهودي المجري "إيجناس جولدتسهير"^٥ فرس رهانهم، وجرس نزالهم، نظار باحث، وظمآن لاهث، له عزم يفت الحديد، ويستقرب البعيد، طاف ولف، وبث وزف، لا يلوي على شيء إلا اقتفاء أثر الكتب، وطرق كل باب لها وسبب، حتى إذا اجتمع له

١ - "تيودور تولدكه" ولد سنة ١٨٣٦م في هامبورج بألمانيا، وتعلم اللغات السامية والفارسية والتركية والسنسكريتية، ونال الدكتوراه سنة ١٨٥٦م، ونال جائزة مجمع الكتابات والآداب في باريس على رسالته "أصل وتركيب سور القرآن" سنة ١٨٥٨م، ثم أعاد النظر فيها ونشرها باسم "تاريخ النص القرآني"، وطبعها بالألمانية سنة ١٨٦٠م، عاون شبرنجر في كتابه "سيرة محمد"، وأسهم في نشر "تاريخ البلدان" للطبري، وله بالعربية منتخبات من الأغاني العربية القديمة من العصر الأموي وغيرها من عشرات الكتب والرسائل، توفي سنة ١٩٣٠م، ينظر: (المستشرقون لنجيب العقيلي ٣٧٩/٢).

٢ - أعني من شاركوه من معاونيه وتلامذته وأتباعه في كتابة وإكمال وتعديل كتابه "تاريخ القرآن"، ومنهم فريدرش شفالي، وأوغوست فيشر، وغوتهلّف برغشترسر، وأتو بريتسل، ينظر: مقدمة كتاب "تاريخ القرآن" لتيودور تولدكه.

٣ - مقدمة كتاب "تاريخ القرآن" وسيأتي الكلام عن تأريخ تصنيفه في الحاشية التالية.

٤ - كانت الطبعة الأولى للكتاب بإبرازته الأولى بقلم مؤلفه الأول "تولدكه" عام ١٨٦٠م، ثم أعيدت صياغة جزئه الأول على يد فريدرش شفالي فطبع ثانية معدلاً سنة ١٩٠٩م، ثم أعيد تعديل جزئه الثاني على يد أوغوست فيشر، إلى أن أعيد تعديل جزئه الثالث على يد غوتهلّف برغشترسر، وأكمل هذا التعديل الأخير أتو بريتسل في مطلع ١٩٣٧م، فاستمرت رحلة التأليف والتصحيح والتعديل لسبع وسبعين عاماً متواصلاً، ينظر: المرجع السابق.

٥ - سنأتي ترجمته مفصلة في مبحث مستقل ومستفيض.

من مصنفات أهل القبلة أربعون ألفاً^١، وزادوا من مؤلفات ذات الملة بالآلاف نيفاً، نظر بعين باحثة يلتبس فرقا، ويستأنس فلقا، صنف من الكتب العشرات بالألمانية، ترجم بعضها للعربية^٢، منها كتاب "مذاهب التفسير الإسلامي"، طعن فيه في ابن عم سيد الناس صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، الصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنهما، فرماه بما هو منه براء، وطعنه بمزاعم مظنة اهتراء، فشمرت عن يد الجد، واستغنت بالله تعالى في الرد، حيث ذكر هذا المستشرق مطاعن تؤدي إلى الحط من قدر أهل العلم بسوء القيل والقال، وقد اختص ابن عباس رضي الله عنهما^٣ بمقالات لو صدقها القاريء لأدت إلى خلخلة أصول التفسير والتأويل، فعمدت لسبر مزاعمه، وقصدت استقصاء مطاعنه، حتى إذا جمعتها كلها، فندتها قولاً قولاً، أرجو التوسط بين الاختصار والإسهاب، والإتيان عليها دحضا بما يغني من جواب، سائلة المولى الكريم التوفيق والقبول، وخاتمة بالحمد لله تعالى، والصلاة والسلام على الحبيب الرسول.

وكان من أهم أسباب اختياري لهذا الموضوع ما يلي:-

أولاً: أهمية الموضوع في الوقت المعاصر، ودوافع مناقشته حفاظاً على التراث الإسلامي.

ثانياً: بيان جهود العلماء في الرد على المستشرق جولدتسيهر والدفاع عن الإسلام.

ثالثاً: صون جناب الصحابي الجليل ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، كونه من الصحب والآل وإمام أهل التفسير والتأويل عن مطاعن المستشرقين لاسيما جولدتسيهر.

١ - المستشرقون لنجيب العقيقي (٤١/٣).

٢ - ينظر: مقدمة ترجمة كتاب العقيدة والشريعة في الإسلام لإيجناس جولدتسيهر.

٣ - سنأتي ترجمته مفصلة في مبحث مستقل ومستفيض.

رابعاً: الذب والمنافحة عن أصول هذا الدين قرآناً وسنة، وعن واسطة العقد لوصوله إلينا، وعلى رأسهم الصحب والآل الأطهار الأخيار.
خامساً: تفنيد أمهات المطاعن ورؤوس أقلام المزاعم الباطلة التي زعمها المستشرقون من أهل الغرب، ومن تبعهم من المستغربين من أهل الشرق.

سادساً: بيان أن الشبهات التي يرددها هؤلاء وأولئك إنما هي فلك واحد لا يخرجون عنها أطلقها بعضهم وقلدهم عليها قوم آخرون.
ثانياً: الدراسات السابقة

كثيرة هي تلك الكتب والرسائل والأبحاث والمقالات التي تناولت بالرد والتفنيد، ومقارعة الحجة بالحجة، ونسف المزاعم المحضنة، التي روجها أحد أكبر المستشرقين، وهو مجال بحثنا هذا "إيجناس جولدتسيهر"، ولا عجب في ذلك فالرجل كان له أسلاف، وسادات يمولون مشروعه الاستشراقي، حتى أننا لم نر عائقاً يمنعه، ولا حائلاً يصده عن إكمال مسيره، كما أن أتباعه طاروا به استبشاراً، وسارت ركائب الإعلام الغربي بما كسبت يداه كل مسير، بل ولا زال المستشرقون من الغرب، والمستغربون من العرب، يتخذون من سننه أسوة، ومن فكره قدوة، مما حدا بأهل العلم من حماة الدين والملة، الذابيين عن جناب الشريعة المطهرة، أن يميلوا ميله رجل واحد، ويكروا على بنيان الريبة الذي ابتناه، فما تركوا منه من لبنة باطل، إلا اجتثوا شأفتها، فبان ضلال أهل الباطل، وكان من ذلك ما يلي من الردود:-

- "الإسلام في مواجهة الغزو الفكري الاستشراقي والتبشيري"، تأليف: الدكتور محمد حسن مهدي بخيت.
- "تاريخ القرآن وغرائب رسمه"، تأليف: العلامة محمد طاهر بن عبد القادر الكردي.
- "رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين"، تأليف: الدكتور عبد الفتاح شلبي.
- "القراءات في نظر المستشرقين والملحدين"، تأليف: الشيخ عبد الفتاح القاضي.

- "الرد على جولدتسيهر في مطاعنه على القراءات القرآنية"، تأليف: الدكتور محمد حسن جبل.
 - "دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين"، تأليف: الشيخ محمد الغزالي.
 - ردود كل من :-
 - الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه "التفسير والمفسرون".
 - الدكتور شعبان محمد إسماعيل في كتابه "القراءات أحكامها ومصادرها".
 - الدكتور حسن ضياء الدين العتر في كتابه "الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها".
 - الدكتور ساسي سالم الحاج في كتابه "الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية".
 - الدكتور علي حسن عبد القادر في كتابه "مذاهب التفسير الإسلامي".
- وقد طويت صحيفة الذكر عن عمد، وأغفلت بعض العناوين الأخرى عن قصد، كتلك التي بين طياتها تناولت بشكل عابر ردا مقتضبا، أو تفنيدا عاما، أو تقريرا مبهما، فمثلها فوق الحصر، تطول بها الكتابة دون كثير فائدة.
- لكني وبعد طول سبر واستقصاء، وجدت ثلثة وجب سدها، وثغرة حُق أن يُرد فسادها، كأنها لبنة في الحصن مفقودة، وفكرة ظلت في رحم الزمان مفقودة، فكان أن شمريت عن ذراع الجد والاجتهاد، أبغي سبيلا وسطا بين البسط والاقتصاد، كانت ثمرته هذا البحث المختصر، والبث المعتصر.
- والذي أراه غضا طريا في موضوعه، جديدا في منته ومضمونه، والله در من قال: "كم ترك الأوائل للأواخر"، وإن كنت في الركب لست أهلا، وفي أصول النخل لأسلاف ما فتئت بقالا.

ثالثا: خطة البحث

وأما خطة البحث فتتكون من: مقدمة، وفصلين، وخاتمة

أما المقدمة فتشتمل على:-

أولا: أهمية موضوع البحث وأسباب اختياره.

ثانيا: الدراسات السابقة.

ثالثا: خطة البحث.

رابعا: منهجي في كتابة البحث.

وأما الفصل الأول "تمهيدي" فيشتمل على خمسة مباحث رئيسة:-

المبحث الأول: تعريف التفسير لغة واصطلاحا.

المبحث الثاني: نشأة علم التفسير ومدارسه وأئمة في القرون

الهجرية الأولى.

المبحث الثالث: التعريف بإمام التفسير عبد الله بن عباس رضي الله

عنهما.

المبحث الرابع: مدخل إلى الاستشراق: "تعريفه، وأهدافه، ونشأته".

المبحث الخامس: التعريف بالمستشرق اليهودي جولدتسيهر وموقفه

من الإسلام.

وأما الفصل الثاني فيشتمل على جزء الدراسة وهو: تفنيد المزاعم

الباطلة التي ادعاها المستشرق جولدتسيهر على الصحابي الجليل

عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، وأجملتها في سبعة مباحث:-

المبحث الأول: الزعم أن ابن عباس رضي الله عنهما تلقى بنفسه في

اتصاله الوثيق بالرسول صلى الله عليه وسلم وجوه التفسير التي يوثق

بها وحدها، وتفنيدها ذلك والرد عليه.

المبحث الثاني: الزعم بتوسعه رضي الله عنه في الأخذ عن أهل

الكتاب، وتفنيدها ذلك والرد عليه.

المبحث الثالث: الزعم برجوعه رضي الله عنه إلى الشعراء القدامى

الذين كان يرى الاعتداد باستعمالهم اللغوي في التفسير، وتفنيده ذلك

والرد عليه.

المبحث الرابع: الزعم بكتمانه رضي الله عنه كثيرا من العلوم، وتفنيده ذلك والرد عليه.

المبحث الخامس: الزعم بعرضه رضي الله عنه الأخبار الإسلامية أحيانا في مظهر مسرحي زاخر بالحياة، وتفنيده ذلك والرد عليه.

المبحث السادس: الزعم بظهوره رضي الله عنه كمنبيء بأخبار الغيب، وأحيانا كأنه مظهر إلهي، وتفنيده ذلك والرد عليه.

المبحث السابع: الزعم بكون أسانيد التفسير المنسوبة إليه رضي الله عنه مطعون فيها، وتفنيده ذلك والرد عليه.

وأما الخاتمة فتشتمل على:-

أولا: أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

ثانيا: المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها.

رابعا: منهجي في كتابة البحث

١- استفتحت بحثي بعمل فصل تمهيدي تحدثت فيه عن معنى التفسير ونشأته ومدارسه وأئمنته وصولا إلى إمام التفسير عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

٢- ثم تحدثت عن معنى الاستشراق ونشأته وأهدافه وصولا إلى المستشرق اليهودي جولدتسيهر، مبينة موقفه من الإسلام والمسلمين، وتأثره بمن سبقه من المستشرقين.

٣- ثم تبيت بفصلٍ جمعت فيه المزاعم التي زعمها المستشرق جولدتسيهر على إمام التفسير عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وقسمتها حسب موضوعاتها، مرتبة إياها حسب ورودها في كتابه "مذاهب التفسير الإسلامي" والمترجم إلى العربية.

٤- قمت بنقد المزاعم وتفنيدها والرد عليها مستندة في ذلك إلى ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، وما أجمع عليه العلماء المتقدمون، ومؤيدة كلامي بكلام العلماء الذين سبقوني بالرد على بعض تلك المزاعم.

وأسال الله عز وجل التوفيق والسداد، والقبول والرشاد، إنه بكل جميل كفي، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وأن يجعل عملنا في ميزان الحسنات،

ورفيع الدرجات، حامدة لله رب العالمين، ومصلىة على المصطفى
الأمين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

الفصل الأول "التمهيدي"
المبحث الأول
تعريف التفسير لغة واصطلاحاً

التفسير لغة:-

مصدر على وزن "تفعيل" من الفعل "فَسَّرَ"، وأصل مادته اللغوية تدل على بيان شيء وإيضاحه^١، والفَسْرُ: البيان، والتفسير: بيان وتفصيل للكتاب^٢.

التفسير اصطلاحاً:-

تعددت تعريفات العلماء -المتقدمين منهم والمتأخرين- للتفسير اصطلاحاً، وما كان منها جامعاً مانعاً فلا يعدو الخلاف فيه دائرة الإيجاز والإطناب، وسوف أكتفي بذكر تعريفين من هذه التعريفات، ثم أذكر تعريفاً مقترحاً، والله الموفق.

١ - عرفه الزركشي رحمه الله تعالى فقال: "التفسير: علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ"^٣، ونقله عنه السيوطي في "الإتقان" وعزاه إليه^٤.

٢ - عرفه الزرقاني رحمه الله تعالى فقال: "علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية"^٥.

١ - معجم مقاييس اللغة (٤/٥٠٤).

٢ - ينظر: تهذيب اللغة (١٢/٢٨٣)، لسان العرب (٥/٥٥)، تاج العروس من جواهر القاموس (١٣/٣٢٣).

٣ - البرهان في علوم القرآن (١/١٣).

٤ - الإتقان في علوم القرآن (٤/١٩٥).

٥ - مناهل العرفان في علوم القرآن (٢/٣).

٣- تفسير القرآن هو: "بيان معاني القرآن الكريم بما يعين على معرفة وفهم مراد الله، على قدر الطاقة البشرية، وبما يتماشى مع غايته الأولى التي كُتبت من أجلها من جهة، ويتناسب مع من وُضع لهم التفسير على وجه الأولوية والتقديم من جهة أخرى"، وأقصد بالطاقة البشرية طاقة المفسر علما وفهما ثم تعليما، وطاقة القاريء علما وفهما ثم تعلما، وبهذا التعريف لا يُلام من قصر - إن قصر - في وجه بيان؛ فهذه هي طاقة البشر القاصرة الناقصة، ولا يُلام من أسهب في علم ما، أو أطنب في فن ما؛ فإن غاية التفسير ربما تتجه إلى المناحي اللغوية بالأساس، أو بيان الإعجاز في الأصل، أو صنف لتقرير الأحكام الفقهية، أو تنقيح الأسانيد الخاصة بالتفسير، أو غيرها كثير، وهكذا، ولا يُعاب على من أطل، ولا يُذم من اختصر؛ إذ ربما أراد الأول بتفسيره ذوي الاختصاص أو التعمق، وربما أراد الثاني القاريء المقل، أو المبتديء، والله أعلم.

المبحث الثاني

نشأة علم التفسير ومدارسه وأئمة في القرون الهجرية الأولى

أرسل الله سبحانه وتعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة، وأنزل عليه القرآن الكريم بلسان عربي مبين، مصداقا لقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ}، فبين سبحانه وتعالى سنته في إرسال الرسل بلسان أقوامهم ليبينوا لهم ما نزل عليهم، كما قال تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ}، فنص سبحانه وتعالى في هذه الآية على أن وظيفة الرسول صلى الله عليه وسلم هي البيان، وقد مر التفسير بمراحل مختلفة منذ عصر النبي صلى الله عليه وسلم حتى تدوينه.

ففي عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وهو عصر نزول القرآن الكريم كان الصحابة رضوان الله عليهم يفهمون القرآن بسليقتهم العربية حيث نزل بلسانهم، وهم عرب خلص، فإذا أشكل عليهم فهم شيء منه، سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان أول مفسر لكتاب الله تعالى.

أخرج الطبري رحمه الله عن أبي عبد الرحمن، قال: حدثنا الذين كانوا يُقرئوننا: أنهم كانوا يستقرئون من النبي صلى الله عليه وسلم، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً^٢.

١ - سورة إبراهيم جزء من الآية رقم (٤).

٢ - سورة النحل جزء من الآية رقم (٤٤).

٣ - جامع البيان (١/٨٠)، وقال الشيخ أحمد شاكر: "هذا إسناد صحيح متصل، أبو عبد الرحمن: هو السلمي، واسمه عبد الله بن حبيب، وهو من كبار التابعين. وقد صرح بأنه حدثه الذين كانوا يقرئونه، وأنهم "كانوا يستقرئون من النبي صلى الله عليه وسلم"، فهم الصحابة، وإبهام الصحابي لا يضر، بل يكون حديثه مسنداً متصلاً".

وبعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى كان الصحابة هم المفسرون للقرآن بما تعلموه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانوا "يعتمدون في تفسيرهم للقرآن الكريم على خمسة مصادر: الأول: القرآن الكريم، الثاني: النبي صلى الله عليه وسلم، الثالث: الاجتهاد وقوة الاستنباط، الرابع: أهل الكتاب اليهود والنصارى، الخامس: معرفتهم بلغة العرب"^١.

و"اشتهر بالتفسير من الصحابة عدد قليل، قالوا في القرآن بما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة أو بالواسطة، وبما شاهدوه من أسباب النزول، وبما فتح الله به عليهم من طريق الرأي والاجتهاد"^٢.

وقد عدَّ السيوطي رحمه الله في "الإتقان" من اشتهر بالتفسير من الصحابة وسماهم، وهم: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبى بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير"^٣، رضى الله عنهم أجمعين.

وبعد انتهاء عصر الصحابة ظهرت مدارس التفسير في عصر التابعين "الذين تتلمذوا للصحابة فتلقوا غالب معلوماتهم عنهم، وكما اشتهر بعض أعلام الصحابة بالتفسير والرجوع إليهم في استجلاء بعض ما خفي من كتاب الله، اشتهر أيضاً بالتفسير أعلام من التابعين، تكلّموا في التفسير، ووضّحوا لمعاصريهم خفي معانيه، وقد اعتمد هؤلاء المفسرون في فهمهم لكتاب الله تعالى على ما جاء في الكتاب نفسه، وعلى ما رووه عن الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى ما رووه عن الصحابة من تفسيرهم أنفسهم، وعلى ما أخذوه من أهل الكتاب مما جاء في كتبهم، وعلى ما يفتح الله به عليهم من طريق الاجتهاد والنظر في كتاب الله تعالى.

١ - ينظر: التفسير والمفسرون (٣١/١)، فصول في أصول التفسير ص (٤٦).

٢ - التفسير والمفسرون (٤٩/١).

٣ - الإتقان في علوم القرآن (٢٣٣/٤).

إن ما نُقِلَ عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة من التفسير لم يتناول جميع آيات القرآن، وإنما فسَّروا ما غمض فهمه على معاصريهم، ثم تزايد هذا الغموض - على تدرج - كلما بُعد الناس عن عصر النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة، فاحتاج المشتغلون بالتفسير من التابعين إلى أن يكملوا بعض هذا النقص، فزادوا في التفسير بمقدار ما زاد من غموض، ثم جاء من بعدهم فأتموا تفسير القرآن تبعاً، معتمدين على ما عرفوه من لغة العرب ومناحيهم في القول، وعلى ما صح لديهم من الأحداث التي حدثت في عصر نزول القرآن... وغير هذا من أدوات الفهم ووسائل البحث.

• مدارس التفسير في عصر التابعين:

فتح الله على المسلمين كثيراً من بلاد العالم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي عهود الخلفاء من بعده، ولم يستقروا جميعاً في بلد واحد من بلاد المسلمين، بل نأى الكثير منهم عن المدينة مشرق النور الإسلامي ثم استقر بهم النوى، موزَّعين على جميع البلاد التي دخلها الإسلام، وكان منهم الولاة، ومنهم الوزراء، ومنهم القضاة، ومنهم المعلمون، ومنهم غير ذلك.

وقد حمل هؤلاء معهم إلى هذه البلاد التي رحلوا إليها، ما وعوه من العلم، وما حفظوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجلس إليهم كثير من التابعين يأخذون العلم عنهم، وينقلونه لمن بعدهم، فقامت في هذه الأمصار المختلفة مدارس علمية، أساتذتها الصحابة، وتلاميذها التابعون.

واشتهر بعض هذه المدارس بالتفسير، وتتلذذ فيها كثير من التابعين لمشاهير المفسرين من الصحابة، فقامت مدرسة للتفسير بمكة، وأخرى بالمدينة، وثالثة بالعراق، وهذه المدارس الثلاث، هي أشهر مدارس التفسير في الأمصار في هذا العهد^١.

١ - التفسير والمفسرون (١/٧٦ ، ٧٧) بتصرف يسير.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:-
"وأما التفسير فإن أعلم الناس به أهل مكة؛ لأنهم أصحاب ابن عباس،
كمجاهد وعطاء ابن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس وغيرهم من
أصحاب ابن عباس، كطاووس، وأبي الشعثاء، وسعيد بن جبير
وأمثالهم، وكذلك أهل الكوفة من أصحاب ابن مسعود، ومن ذلك ما
تميزوا به على غيرهم، وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل زيد بن
أسلم الذي أخذ عنه مالك التفسير، وأخذ عنه أيضاً ابنه عبد الرحمن،
وعبد الله بن وهب"^١.

١ - مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص(٢٤).

المبحث الثالث

التعريف بإمام التفسير عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

هو: "عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي الهاشمي، أبو العباس الحبر البحر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو الخلفاء، وأمه لبابة بنت الحارث الهلالية أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم.

ولد والنبي عليه الصلاة والسلام وأهل بيته بالشعب بمكة، فأُتِيَ به النبي عليه الصلاة والسلام فحنكه بريقه، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين، ولازم النبي عليه الصلاة والسلام في صغره، لقربته منه، ولأن خالته ميمونة كانت من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وله من العمر ثلاث عشرة سنة، وقيل: خمس عشرة، فلازم كبار الصحابة وأخذ عنهم ما فاته من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت وفاته سنة ثمان وستين على الأرجح، وله من العمر سبعون سنة، مات بالطائف ودُفن بها^١.
مبلغه من العلم:

"كان ابن عباس يُلقَّب بالحَبْر والبحر لكثرة علمه، وكان على درجة عظيمة من الاجتهاد والمعرفة بمعنى كتاب الله تعالى، ولذا انتهت إليه الرياسة في الفتوى والتفسير، وكان عمر رضي الله عنه يُجلسه في مجلسه مع كبار الصحابة ويُدنيه منه، وكان يقول له: إنك لأصبح فتياننا وجهاً، وأحسنهم خُلُقاً، وأفقههم في كتاب الله تعالى، وقال في شأنه: ذاكم فتى الكهول، إنَّ له لساناً سئولاً، وقلباً عقولاً، وكان لفرط أدبه إذا سأله عمر مع الصحابة عن شيء يقول: لا أتكلم حتى يتكلموا، وكان عمر رضي الله عنه يعتد برأي ابن عباس مع حداثة

١ - ينظر: تهذيب التهذيب (٥/٢٤٢ : ٢٤٤)، تاريخ بغداد (١/٥٢٢)، الوافي بالوفيات (١٧/١٢١، ١٢٢)، التفسير والمفسرون (١/٥٠).

سنه، قال فيه ابن مسعود رضى الله عنه: "تعمّ ترجمان القرآن ابن عباس".^١

قال الزركشي رحمه الله تعالى:-

"وقد مات ابن مسعود في سنة ثنتين وثلاثين، وعمر بعده ابن عباس ستا وثلاثين سنة فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود".^٢

"وقال فيه عطاء: "ما رأيت أكرم من مجلس ابن عباس، أصحاب الفقه عنده، وأصحاب القرآن عنده، وأصحاب الشعر عنده، يصدرهم كلهم من واد واسع". وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: "كان ابن عباس قد فات الناس بخصال: بعلم ما سبقه، وفقه فيما احتيج إليه من رأيه، وحلم، ونسب، وتأويل، وما رأيتُ أحداً كان أعلم بما سبقه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم منه، ولا بقضاء أبى بكر وعمر وعثمان منه، ولا أفقه في رأى منه، ولا أثقّب رأياً فيما احتيج إليه منه، ولقد كان يجلس يوماً ولا يذكر فيه إلا الفقه، ويوماً التأويل، ويوماً المغازي، ويوماً الشعر، ويوماً أيام العرب، ولا رأيت عالماً قط جلس إليه إلا خضع له، وما رأيت سائلاً قط سأله إلا وجد عنده علماً". وقيل لطاووس: لزمّت هذا الغلام - يعني ابن عباس - وتركت الأكابر من أصحاب رسول الله، قال: إنى رأيت سبعين رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تدارعوا في أمر صاروا إلى قول ابن عباس". وروى الأعمش عن أبى وائل قال: "استخلف علىّ عبد الله بن عباس على الموسم فقرأ في خطبته سورة البقرة - وفي رواية: سورة النور - ففسرها تفسيراً لو سمعته الروم والترك والديلم لأسلموا" وكان علىّ بن أبى طالب يُثنى على تفسير ابن عباس ويقول: "كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق".

وبالجملة.. فقد كانت حياة ابن عباس حياة علمية، يتعلم ويعلم، ولم يشغل بالإمارة إلا قليلاً لما استعمله علىّ بن البصرة، والحق: أن ابن

١ - التفسير والمفسرون (٥٠/١).

٢ - البرهان في علوم القرآن (٨/١).

عباس قد ظهر فيه النبوغ بأكمل معانيه. علماً، وفصاحة، وسعة اطلاع في نواح علمية مختلفة، ولا سيما فهمه لكتاب الله تعالى، وخير ما يُقال فيه ما قاله ابن عمر رضي الله عنهما: "ابن عباس أعلم أمة محمد بما نزل على محمد" صلى الله عليه وسلم.

*أسباب نبوغه:-

ونستطيع أن نُرجع هذه الشهرة العلمية، وهذا النبوغ الواسع الفيض، إلى أسباب نجمها فيما يلي:-

أولاً: دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له بقوله: «اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ»^١، وفي رواية أخرى: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ»^٢، والذي يرجع إلى كتب التفسير بالمأثور، يرى أثر هذه الدعوة النبوية، يتجلى واضحاً فيما صح عن ابن عباس رضي الله عنه.

ثانياً: نشأته في بيت النبوة، وملازمته لرسول الله صلى الله عليه وسلم من عهد التمييز، فكان يسمع منه الشيء الكثير، ويشهد كثيراً من الحوادث والظروف التي نزلت فيها آيات القرآن.

١ - أخرجه الإمام البخاري في: كتاب العلم/ باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم علمه الكتاب" (٤١/١) ح (٧٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "ضَمَّنِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَالَ: «اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْكِتَابَ»، وكتاب فضائل الصحابة/ باب ذكر ابن عباس رضي الله عنهما (١٣٧١/٣) ح (٣٥٤٦) بلفظ: «اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْحِكْمَةَ».

٢ - أخرجه الإمام البخاري في: كتاب الوضوء/ باب وضع الماء عند الخلاء (٦٦/١) ح (١٤٣) عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم - دَخَلَ الْخَلَاءَ، فَوَضَعَتْ لَهُ وَضُوءًا، قَالَ: «مَنْ وَضَعَ هَذَا؟ فَأُخْبِرَ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»، وأخرجه الإمام أحمد في (٢٢٥/٤) ح (٢٣٩٧) بلفظ: "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَضَعَ يَدَهُ عَلَى كَتِفِي - أَوْ عَلَى مَنْكِبِي، شَكَ سَعِيدٌ - ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ»، و(٦٥/٥) ح (٢٨٧٩)، وقال شعيب الأرنؤوط: "إسناده قوي على شرط مسلم رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبدالله بن عثمان فمن رجال مسلم".

ثالثاً: ملازمته لأكابر الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، يأخذ عنهم ويروى لهم، ويعرف منهم مواطن نزول القرآن، وتواريخ التشريع، وأسباب النزول، وبهذا استعاض عما فاتته من العلم بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتحدث بهذا ابن عباس عن نفسه فقال: "وجدت عامة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الأنصار، فإن كنت لآتى الرجل فأجده نائماً، لو شئت أن يُوقظ لي لأوقظ، فأجلس على بابه تسفي على وجهي الريح حتى يستيقظ متى ما استيقظ، وأسأله عما أريد، ثم أنصرف"^١.

رابعاً: حفظه للغة العربية، ومعرفته لغريبها، وآدابها، وخصائصها، وأساليبها، وكثيراً ما كان يستشهد للمعنى الذي يفهمه من لفظ القرآن بالبيت والأكثر من الشعر العربي.

خامساً: بلوغه مرتبة الاجتهاد، وشجاعته في بيان ما يعتقد أنه الحق، دون أن يأبه لملامة لائم ونقد ناقد، ما دام يثق بأن الحق في جانبه، وكثيراً ما انتقد عليه ابن عمر جرأته على تفسير القرآن، ولكن لم ترق إليه همة نقده، بل ما لبث أن رجع إلى قوله، واعترف بمبلغ علمه، فقد روى أن رجلاً أتى ابن عمر يسأله عن معنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾^٢، فقال: اذهب إلى ابن عباس ثم تعال أخبرني، فذهب فسأله فقال: كانت السموات رتقاً لا تمطر، وكانت الأرض رتقاً لا تنبت، ففتق هذه بالمطر، وهذه بالنبات، فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره فقال: قد كنت أقول: ما

١ - أخرجه الدارمي في المقدمة/ باب الرحلة في طلب العلم واحتمال العناء فيه (١٥٠/١) ح (٥٧٠)، وقال حسين سليم أسد: إسناداه صحيح، والحاكم في "المستدرک": كتاب العلم (١٨٨/١) ح (٣٦٣)، وقال: "«هذا حديث صحيح على شرط البخاري وهو أصل في طلب الحديث وتوقير المحدث»، ووافقه الذهبي.
٢ - سورة الأنبياء جزء من الآية رقم (٣٠).

يعجبني جرأة ابن عباس على تفسير القرآن، فالآن قد علمت أنه أوتي علماً^١.

هذه هي أهم الأسباب التي ترجع إليها شهرة ابن عباس في التفسير، يضاف إلى ذلك كونه من أهل بيت النبوة، منبع الهداية، ومصدر النور، وما وهبه الله من قريحة وقادة، وعقل راجح، ورأى صائب، وإيمان راسخ، ودين متين^٢.

١ - أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٢٤٥٠/٨) ح (١٣٦٣٩)، وأبو نعيم في "الحلية" (٣٢٠/١)، وعزاه ابن كثير في "تفسير القرآن العظيم" (٣٣٩/٥) لابن أبي حاتم، وذكره السيوطي في "الإتقان" (٢٣٥/٤) وعزاه لأبي نعيم، وعزاه في "الدر المنثور" (٦٢٥/٥) إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي نعيم في الحلية.

٢ - التفسير والمفسرون (٥١/١ : ٥٣) بتصرف.

المبحث الرابع

مدخل إلى الاستشراق: تعريفه، وأهدافه، ونشأته"

أولاً: مفهوم الاستشراق وأهدافه:-

الاستشراق: مصدر استشرق، وأصل مادته: "شرق" ^١، "والشرق: مكان طلوع الشمس، والمشرق كذلك، والكوكب المشرقي: هو الذي يطلع قبل الشمس، وحين يغرب بعد غروب الشمس يدعي مغربياً" ^٢.

"والتَّشْرِيقُ: الأخذ في ناحية المشرق، يقال: شتان بين مُشْرِقٍ ومُغْرَبٍ" ^٣.

"استشرق: طلب علوم أهل الشرق ولغاتهم (مولدة عصرية)" ^٤.

والاستشراق: عناية واهتمام بشئون الشرق وثقافته ولغاته، أو: أسلوب غربي للسيطرة على الشرق وإعادة بنائه وبسط النفوذ عليه، والحركة الاستشراقية: حركة تجلّت في اهتمام الغربيين بتراث الشرق وحضارته ولغاته" ^٥.

"فالاستشراق: تعبير أطلقه الغربيون على الدراسات المتعلقة بالشرقيين، شعوبهم وتاريخهم وأديانهم ولغاتهم وأوضاعهم الاجتماعية، وبلادهم وأرضهم وحضاراتهم وكل ما يتعلق بهم.

وكان هدفهم الأساسي: دراسة الإسلام والشعوب الإسلامية، لخدمة أغراض التبشير من جهة، وخدمة أغراض الاستعمار الغربي لبلدان المسلمين من جهة أخرى، ولإعداد الدراسات اللازمة لمحاربة الإسلام وتحطيم الأمة الإسلامية.

١ - معجم اللغة العربية المعاصرة (١١٩٢/٢).

٢ - موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (١٠٢٠/١) بتصرف يسير.

٣ - مختار الصحاح ص (٣٥٤).

٤ - معجم متن اللغة (٣١٠/٣).

٥ - معجم اللغة العربية المعاصرة (١١٩٢/٢).

والمستشرقون: هم الذين يقومون بهذه الدراسات من غير الشرقيين، ويقدمون الدراسات اللازمة للمبشرين، بغية تحقيق أهداف التبشير، وللدوائر الاستعمارية بغية تحقيق أهداف الاستعمار.

ومع الدراسات الاستشراقية الموجهة لأغراض التبشير والاستعمار قام بعض محبي العلم بدراسات استشراقية حيادية غير موجهة، وكان من بعض هؤلاء إنصاف للحقيقة، وبعض هؤلاء المنصفين تأثر بالإسلام وبالحضارة الإسلامية فأسلم^١.

ثانياً: أهداف المستشرقين:-

تتلخص أهداف الاستشراق فيما يلي:-

"أولاً: الحيلولة بين الشعوب النصرانية وبين الإسلام، فقد عمل المستشرقون على تشويه الإسلام وحجب محاسنه؛ لإقناع قومهم بعدم صلاحيته لهم نظام حياة، ولعل هذا هو أخطر الجوانب التي قام لأجلها الاستشراق والتبشير، وذلك في أعقاب الحروب الصليبية، وعودة المحاربين إلى أوربا، يحملون صورة مشرقة لمعاملات المسلمين لهم، وسماحة الإسلام، وقد عمد رجال الكنيسة إلى إخراس الألسنة المنصفة، وحاولوا ترجمة القرآن لتزييف مفاهيمه وانتقاصها.

وقد استغل الاستشراق كراهية الأوربيين للإسلام بعد التوسع العثماني في أوربا، وما صحبه من تعصب وحروب استمرت عدة قرون، فعمل المستشرقون على تعميق الكراهية والأحقاد في نفوس الأوربيين، وتغذيتها بالشبهات والأباطيل، بهدف حجب الإسلام عن أوربا، والحيلولة دون نفاذه إليها.

ثانياً: تأييد الغزو الاستعماري لبلاد المسلمين، والعمل لتحطيم المقاومة الإسلامية، بتأويل الجهاد، وصرف أنظار المسلمين إلى الدعة، والقعود عن الجهاد في سبيل الله، ومدافعة الغزاة بالاشتغال بالعبادة والزهد، وتسميتها بالجهاد الأكبر، وتحطيم وحدة المسلمين، وتمزيق الدول الإسلامية، وعزل الشريعة الإسلامية عن التطبيق في المجتمع الإسلامي، وإحلال الأنظمة القانونية والاقتصادية والسياسية والتربوية لتحل محل الإسلام بالقوة.

١ - أجنحة المكر الثلاثة (١/٥٣ ، ٥٤)، وينظر: المستشرقون والسنة ص (٩).

ثالثاً: فصل المسلمين عن جذورهم الثابتة الأصيلة، بتشويه تلك الأصول، وعزلها عن مصادرها، وهدم المقومات الأساسية للكيان الفردي والاجتماعي والنفسي أمام الاستعمار وثقافته وفكره، والتأثير في نفوس المسلمين، وزحزحة عقائدهم بما يفتح للتبشير المسيحي طريقاً إلى تحويل بعض ضعاف العقيدة إلى ملاحدة وأتباع.

والخلاصة: فقد كان المستشرقون طلائع للمبشرين، يمهدون السبيل أمامهم؛ لتشكيك المسلمين في عقائدهم، ويفتحون أمام دعاة النصرانية السبيل للطعن في الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم بأنواع شتى من الشعوذة العلمية باسم البحث والاستنتاج التحليلي^١.

ثالثاً: نشأة الاستشراق:-

ذهب بعض الباحثين: إلى أن الاستشراق "تمتد جذوره إلى الصدر الأول من الإسلام، متمثلاً باليهود والنصارى الذين لم يألوا جهداً من أجل محاربة هذا الدين، وذلك بالطعن فيه والهمز واللمز في أحكامه وتشريعاته، واتهام الرسول صلى الله عليه وسلم بالمجنون والساحر والشاعر، يقول الله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾^٢، ويقول جلّ ذكره عنهم أيضاً: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾^٣ وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً^٤، وقوله: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ* إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾^٥.

وقد اتخذ هؤلاء المشركون سبلاً كثيرة للطعن في هذا الدين لإعراض الناس عنه، فتارة يحرفون آياته، وتارة يكتمون الحق وهم يعلمون، وأخرى يشككون

١ - أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ص(٢١ ، ٢٢)، وللاستزادة ينظر: المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام(١١ : ١٣)، المستشرقون في الميزان ص(١٤٥ : ١٤٧)، الاستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام ص(٨٠ : ٨٢)، أضواء على الثقافة الإسلامية ص(١٧٢)، أجنحة المكر الثلاثة(١٢٧/١ : ١٣٤).

٢ - سورة الأنبياء جزء من الآية رقم(٥).

٣ - سورة الفرقان الآيات رقم(٤ ، ٥).

٤ - سورة المدثر الآيات رقم(٢٤ ، ٢٥).

فيه بالطعن في الوحي نفسه، يقول الله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^١، ويقول جل ذكره: ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونَ * وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^٢.

وكثيراً ما كان يتبع المشركون سبيل الدخول في الإسلام لفترة وجيزة ثم الارتداد عنه ليبين للناس أنهم جربوا هذا الدين؛ لأنه غير نافع وغير صحيح، لإخراجهم إلى ظلماتهم وضلالهم، يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَجِهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِفُونَ﴾^٣.

هذه المواقف والأفعال لم تكن ذات أبعاد إنسانية أو إيجاد الخير للناس وإظهار الحق واتباعه، وإنما كانت جميعها منصبة ليردوا الناس عن دينهم ويتبعوا دياناتهم المنحرفة، يقول الله تعالى فيهم: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^٤.

ويقول أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَزِدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾^٥.

وكل هذه الوسائل وغيرها اتبعتها المشركون للصد عن دين الله، ويتبعها المستشرقون المعاصرون في نشاطاتهم الفكرية والثقافية، وهذا يعني حقاً أنهم امتداد لذلك التيار المعارض والمحارب لدين الله تعالى في بداية بزوغه^٦.

١ - سورة البقرة الآية رقم (٧٥).

٢ - سورة البقرة الآيات رقم (٤١ ، ٤٢).

٣ - سورة آل عمران الآية رقم (٧٢).

٤ - سورة البقرة الآية رقم (١٠٥).

٥ - سورة آل عمران الآية رقم (١٠٠).

٦ - الاستشراق وموقفه من السنة النبوية ص (١٠ ، ١١)، وينظر: دراسات في تمييز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه (١٩٠/١ ، ١٩١).

قلت (الباحثة): وبالتأمل في هذا الرأي وفي معنى الاستشراق يتبين أنه راعى الهدف الرئيسي للاستشراق، وهو هدف ديني بحث للطعن في الإسلام والنيل منه، ولا يتأتى لهم ذلك إلا بدراسته لمحاولة تشويه صورة الإسلام، وإثارة الشبهات حوله، لتشكيك الناس فيه، ومن ثم رد المسلمين عن دينهم، ومنع غيرهم من التفكير في الدخول فيه، فلا يعدو أن يكون طريقة جديدة للطعن في الإسلام وفي رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم، لكن أنى لهم ذلك والله سبحانه وتعالى يقول: {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيرَ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}¹.

ويرى أكثر الباحثين: أن مفهوم الاستشراق لم يظهر في القرون الأولى، ولكنهم اختلفوا في تحديد تاريخ معين لظهوره.

يقول الدكتور محمود حمدي زقزوق:-

"ومن الصعب تحديد تاريخ مُعَيَّنٍ لبداية الاستشراق، وإذا كان بعض الباحثين يشير إلى أن الغرب النصراني يورِّخ لبدء وجود الاستشراق الرسمي بصدور قرار مجمع فينا الكنسي في عام (١٣١٢هـ) بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوربية، ولكن الإشارة هنا إلى "الاستشراق الكنسي" تدل على أنه كان هناك استشراق غير رسمي قبل هذا التاريخ، فضلاً عن أن هناك باحثين أوروبيين لا يعتمدون التاريخ المشار إليه بداية للاستشراق، ولذلك تتجه المحاولات في هذا الصدد لا إلى تحديد سنة مُعَيَّنة لبداية الاستشراق، وإنما إلى تحديد فترة زمنية مُعَيَّنة على وجه التقريب، يمكن أن تُعدَّ بدايةً للاستشراق، وليس هناك شك في أن الانتشار السريع للإسلام في المشرق والمغرب قد لفت بقوة أنظار رجالات اللاهوت النصراني إلى هذا الدين، ومن هنا بدأ اهتمامهم بالإسلام ودراسته ..

وعلى الرغم من أن الاستشراق يمتدُّ بجذوره إلى ما يقرب من ألف عام مضت، فإن مفهوم مُسْتَشْرِقٍ لم يظهر في أوروبا إلا في نهاية القرن الثامن عشر ..

وأدرج مفهوم الاستشراق في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام ١٨٣٨م...

وعلى أية حال فإن الدافع لهذه البدايات المبكرة للاستشراق كان يتمثل في ذلك الصراع الذي دار بين العالمين: الإسلامي والنصراني في الأندلس وصقلية، كما دفعت الحروب الصليبية بصفة خاصة إلى اشتغال الأوربيين بتعاليم الإسلام وعاداته، ولهذا يمكن القول بأن تاريخ الاستشراق في مراحلها الأولى هو تاريخ للصراع بين العالم النصراني الغربي في القرون الوسطى والشرق الإسلامي على الصعيدين: الديني والأيدولوجي^١.

"ومنذ أن بدأ المستشرقون الكتابة سلكوا طرقاً خبيثة لتزييف العقيدة الإسلامية، وامتصاص ما فيها من قوة وجهاد وإيمان، وتصوير الإسلامية على أنه دين تعبدى فقط، وأن هناك فصلاً تاماً بين الدين وبين الحكم وسياسة الدولة والنظم الاقتصادية التي يمكن أن تخضع لأنظمة ومبادئ مغايرة للدين. وقد تطور الاستشراق في الأسلوب وفي المنهج، فعمد المستشرقون منذ مطلع القرن الثالث عشر الهجري "أواخر القرن الثامن عشر الميلادي" إلى الدعوة لإنشاء كليات لتدريس اللغات الشرقية في عواصم البلاد الأوربية، وفعلاً فقد أنشئت كليات لتدريس اللغات الشرقية في لندن وباريس وليدن وبرلين، وبطرسبرج وغيرها، واشتملت على أقسام خاصة لدراسة اللغة العربية وبعض اللغات الإسلامية كالفارسية والتركية والأردية وكانت تهدف من وراء ذلك تزويد السلطات الاستعمارية بخبراء في الشؤون الإسلامية، ثم أخذ الطلاب المسلمون يؤمنون هذه الكليات الأوربية للدراسة فيها، وبذلك تأثر الفكر الإسلامي بما يمليه المستشرق في أذهان الطلبة المبعوثين من أبناء المسلمين^٢، وكانت

١ - الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري بتصرف ص (١٨ : ٢١)، وينظر: الإسلام والغرب ص (١٢ : ١٩)، الاستشراق وموقفه من السنة النبوية ص (١١ ، ١٢).

٢ - ينظر: أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ص (٢١).

المؤسسات الدينية والسياسية والاقتصادية في الغرب تقدم الأموال الطائلة للمستشرقين من أجل القيام بمهمتهم.

وقد أنشئت عدة مؤسسات في البلاد الإسلامية لخدمة الاستشراق وللتآزر مع الاستعمار والتبشير الكاثوليكي والبروتستانتى، والواقع أننا لا نستطيع أن نفصل بين أهداف الاستشراق والتبشير والاستعمار إلا من حيث الأهداف القريبة أو الهيئة الظاهرية، أما الغرض البعيد لها جميعاً فواحد غير متعدد ومن أبرز هذه المؤسسات التعليمية: الفرانسيسكان والجامعة الأمريكية، وقد انتشرت في كل الأقطار الإسلامية^١.

١ - أضواء على الثقافة الإسلامية ص (١٧٣ ، ١٧٤).

المبحث الخامس

التعريف بالمستشرق اليهودي جولدتسيهر وموقفه من الإسلام

أولاً: التعريف بالمستشرق اليهودي جولدتسيهر:-

اسمه:-

إجناس جولدتسيهر^١.

مولده:-

ولد في الثاني والعشرين من شهر يونيو سنة (١٨٥٠م) بمدينة
أشتولفيسنبرج في بلاد المجر، وأسرته أسرة يهودية.

حياته الاجتماعية وأثرها على فكره:-

جولدتسيهر مستشرق، مجري، يهودي، تأثر بانتمائه إلى بلاد المجر
التي كانت آنذاك جزءاً من الإمبراطورية النمساوية، كما تأثر بانتمائه
إلى أسرة يهودية لها حظها من المكانة في الحياة الاجتماعية، فكان
لهذين العاملين أثر كبير في تحديد خصائصه.

دراسته:-

قضى السنين الأولى من عمره في بودابست "عاصمة المجر"، ومن ثم
ذهب إلى برلين سنة (١٨٦٩م) فظل بها سنة انتقل بعدها إلى جامعة
ليبتيك، وفيها كان أستاذه في الدراسات الشرقية فليشر أحد
المستشرقين النابيين في ذلك الحين وعلى يديه حصل جولدتسيهر
على الدكتوراه الأولى سنة (١٨٧٠م) وكانت رسالته عن شارح يهودي
في العصور الوسطى شرح التوراة وهو تخوم أورشليمي ومن ثم عاد
إلى بودابست فعين مدرساً مساعداً في جامعتها سنة (١٨٧٢م)، ولكنه
لم يستمر في التدريس طويلاً، وإنما أرسلته وزارة المعارف المجرية في
بعثة دراسية إلى الخارج فاشتغل طوال سنة في فينا وفي لندن وارتحل

١ - إجناس، أو اجناز، جولدتسيهر، أو جولدزيهر، أو جولد صيهر، ونحو ذلك
من رسم، وضبط الأسماء الأعجمية، لا يضير، ومعلوم أن ذلك مُتسامح فيه بين
أهل العلم، لاختلاف اللغات من وجهه، وللتغير الذي قد يعتري الاسم عند ترجمته،
أو تعريبه.

بعدها إلى الشرق من سبتمبر سنة (١٨٧٣م) إلى أبريل من العام التالي، فأقام في القاهرة مدة، ثم سافر إلى سوريا وفلسطين. وفي أثناء إقامته بالقاهرة استطاع أن يختلف إلى بعض الدروس في الأزهر، وكان ذلك بالنسبة إلى أمثاله امتيازاً كبيراً ورعاية عظيمة، ورحل إلى سورية وتعرف على الشيخ طاهر الجزائري وصحبه مدة وانتقل بعدها إلى فلسطين .

ومنذ أن عين في جامعة بودابست وعنايته بالدراسات العربية عامة والإسلامية الدينية خاصة تنمو وتزداد وإذا به يحرز في وطنه شهرة كبيرة جعلته يُنتخب عضواً مراسلاً للأكاديمية المجرية سنة (١٨٧١م)، ثم عضواً عاملاً في سنة (١٨٩٢م)، ورئيساً لأحد أقسامها سنة (١٩٠٧م)، وصار أستاذاً للغات السامية في سنة (١٨٩٤م)، ومنذ ذلك الحين وهو لا يكاد يغادر وطنه بل ولا مدينة بودابست إلا لكي يشترك في مؤتمرات المستشرقين، أو لكي يلقي محاضرات في الجامعات الأجنبية استجابة لدعوتها إليه .

وفاته:-

كانت وفاته في اليوم الثالث عشر من شهر نوفمبر سنة (١٩٢١م) بالمدينة التي قضى فيها الشطر الأعظم من حياته، ونعني بها مدينة بودابست^١.

ثانياً: موقفه من الإسلام:-

الحديث عن موقف جولدتسيهر من الإسلام يبدو واضحاً جلياً في أولى كلماته التي استفتح بها كتابه الأشهر: "مذاهب التفسير الإسلامي"، ولعلنا لا نجد ما نعبر به عن موقفه من القرآن بأفضل مما عبر به هو؛ حيث قال في مقدمة كتابه المذكور واصفاً القرآن الكريم:-

١ - موسوعة المستشرقين للدكتور/ عبد الرحمن بدوي ص (١٩٧ ، ١٩٨) بتصرف، وينظر: الأعلام للزركلي (١/٨٤)، المستشرقون لنجيب العتيقي (٣/٤٠ : ٤٢).

"لا يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافاً عقدياً على أنه نص منزل أو موحى به يقدم نصه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطرابات وعدم الثبات كما نجد في نص القرآن".^١
كما يتضح موقفه من النبي صلى الله عليه وسلم وشريعة الإسلام بما سطره بيده؛ حيث قال في كتاب "العقيدة والشريعة": -

"فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً منتخبا من معارف وآراء دينية عرفها أو استفها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية، وغيرها التي تأثر بها تأثراً عميقاً، والتي رآها جديرة بأن توظف عاطفة دينية حقيقية عند بني وطنه".^٢
- ويبدو للمتأمل في كتابات جولدتسيهر أنه لم يدرس أصول العلوم الإسلامية والعربية دراسة متأنية واعية، وإنما قرأ بعضاً منها قراءة عابرة، فغفل عن كثير من دقائق المسائل، وتغافل عن أخرى، مما أدى إلى الطعن في مصدر التشريع الإسلامي الموحى به من الله جل وعلا على قلب النبي صلى الله عليه وسلم.
يقول الدكتور فؤاد سزكين: -

"ونرى لزاماً علينا أن ننبه إلى أن جولدتسيهر - كما يبدو - لم يستخدم كتب مصطلح الحديث التي كانت معروفة له ككل، والتي كان لا يزال قسم منها مخطوطاً في ذلك الوقت، وفوق هذا فيبدو لنا أنه لم ينظر - على الرغم من كثرة مصادره - إلى بعض الأخبار في ترابطها بالأخبار الأخرى، ويبدو لنا كذلك أنه غفل عن الأخبار التي كان من شأنها أن تجعل للأخبار الأولى دلالة مختلفة تماماً عن المعنى المقصود (أي الذي يقصده جولدتسيهر)"^٣.
ثالثاً: تأثر جولدتسيهر بمن سبقه من المستشرقين وتأثيره فيمن بعده: -
يقول الدكتور حسن عزوزي: -

"أما في علم التفسير فابن عباس رضي الله عنهما كان شخصية أسطورية حسب عنوان بحث نشره كلود جيليو، ويبدو أن الرجل قد تأثر بما سبق أن افتراه سبرنجر في أواسط القرن التاسع عشر من أن ابن عباس رضي الله

١ - مذاهب التفسير الإسلامي لإيجناس جولدتسيهر ص (٤).

٢ - العقيدة والشريعة في الإسلام لإيجناس جولدتسيهر ص (١٢).

٣ - تاريخ التراث العربي للدكتور/ فؤاد سزكين (١١٩/١).

عنهما كان كاذباً، وأن معظم الروايات التي تتصل به متناقضة ومكذوبة، وأنه أخذ الشيء الكثير عن مَسَلمة اليهود دون روية، ولم يجد جيليو ما يعزز به كلامه سوى الرجوع إلى ما أثر عن بعض الصحابة والتابعين من أقوال تدل على تورعهم وامتناعهم من الخوض في التفسير، وكأن المستشرق الفرنسي أمام هذا العزوف عن القول في التفسير الذي أبداه بعض رجال السلف ممن خشوا القول بالرأي في التفسير استرعاه القدر الهائل من المرويات - وقد وصفها بالعدد الذي لا يحصى - التي تستند إلى حبر الأمة الذي دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: "اللهم فقَّهه في الدين وعلمه التأويل"^١، ولم يكن في وسع الرجل ولا في مقدوره أن يعي جيداً بركة هذا الدعاء النبوي، كما أنه تجاهل معايير وموازين النقد الحديثي للمرويات التي كانت تفرض على العلماء والنقاد قبول ما كان صحيحاً واستبعاد ما كان ضعيفاً أو مختلفاً.

لقد حاول الرجل أن يبرهن أيضاً على دعوى أن كثرة الأحاديث والروايات المنسوبة إلى ابن عباس كان الهدف منها إعطاء سند مرجعي موثوق لتلك الأحاديث التي كانت تخدم أغراض المذاهب السياسية والفقهية وغيرها.

ويمكن القول بأن افتراءات المستشرق الفرنسي في حق ابن عباس رضي الله عنهما كأكبر رموز علم التفسير هي نفس الافتراءات التي أبداهها جولدزيهر وشاخت فيما قبل في حق أبي هريرة رضي الله عنه كأكبر رواة علم الحديث، فإذا كان هذان المستشرقان قد تضافرت جهودهما من أجل العمل على تدمير الثقة في رواية الإسلام، فإن ذلكم المستشرق الفرنسي قد ولى وجهته نحو ميدان علم التفسير ووضع نصب عينيه مهمة توهين الثقة في ترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما وتحطيم الاعتقاد السائد لدى المسلمين بريادة ابن عباس وغيره من كبار الصحابة والتابعين في وضع أسس علم التفسير، ويبدو أن وصفه له بالأسطورة قد أخذه عن جولدزيهر في كتابه "مذاهب التفسير الإسلامي"^٢، ولاشك أن الرد على هذا المستشرق فيما افتراه على ابن عباس في مجال علم التفسير وما ادَّعاه مما لا أساس له من الصحة يحتاج إلى

١ - سبق تخريجه في ترجمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

٢ - مذاهب التفسير الإسلامي ص (٩٠).

وقفات طويلة للرد على ما ضمنه أطروحته للدكتوراه حول تفسير ابن جرير الطبري، وبحثين له حول ابن عباس والبدايات الأولى لظهور علم التفسير. ويمكن القول بهذا الصدد أنه يصعب على مستشرق يند عنه الفهم الروحاني أن يستوعب معنى بركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما، ففي كتاب المناقب من سنن الترمذي عن ابن عباس قال: ضمّني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: اللهم علّمه الحكمة^١، قال الترمذي: حديث حسن صحيح، ثم إنه كان يقال له الحبر والبحر؛ لكثرة علمه^٢.

١ - سبق تخريجه في ترجمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.
٢ - مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القرآن الكريم (٣٩ : ٤١).

الفصل الثاني: "فصل الدراسة"

تفنيد المزاعم الباطلة التي ادعاها المستشرق جولدتسيهر على الصحابي
الجليل عبدالله بن عباس رضي الله عنهما
المبحث الأول

الزعم أن ابن عباس رضي الله عنهما تلقى بنفسه في اتصاله الوثيق بالرسول
صلى الله عليه وسلم وجوه التفسير التي يوثق بها وحدها، وتفنيد ذلك والرد
عليه

يقول جولدتسيهر:

"وأخبار التفسير التي ترجع إليه تعد أكثر ما ينال الإيثار والتفضيل من تبيان
لفهم القرآن،

وترى الرواية الإسلامية أنه تلقى بنفسه في اتصاله الوثيق بالرسول وجوه
التفسير التي يوثق بها وحدها،

وقد أغفلت هذه الرواية بسهولة، كما في أحوال أخرى مشابهة، أن ابن عباس
عند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم كان أقصى ما بلغ من السن ١٠ -
١٣ سنة"^١.

الرد:-

إن ما قرره جولدتسيهر من تفضيل تفسير ابن عباس، صحيح - بتفصيل يأتي
بيانه - شريطة صحة النسبة له، ولا غبار عليه، ولا مطعن، وتفصيل هذا
التفضيل أن له ضربين:-

الأول: تفضيله على تفسير من دونه من غير الصحابة.

وهذا صحيح، ليس لكونه ابن عباس الترجمان الحبر البحر المدعو له على
لسان النبوة الخاتمة فحسب، وإنما لكونه صحابيا، والصحابة مقدمون على
غيرهم عند جماهير أهل العلم من المسلمين، والأقدمون مقدمون على غيرهم
في كل الشرائع، أفرأيت إن كان فلانا من أصحاب موسى عليه السلام، فقال
قولا يخص شريعته، وصحت نسبته إليه، أتراه يقدم من دونه عليه؟!، وهل هذا
مطعن؟ أو أمر معيب؟ حاشا وكلا.

١ - مذاهب التفسير الإسلامي ص (٨٤ ، ٨٥).

والضرب الثاني: تفضيله على تفسير من في طبقة من الصحابة عامة. فهذا لا يقول به جماهير أهل العلم، خلا ما امتاز به من فنون التأويل، وملكات الاستنباط بشهادة من فوقه من كبار الصحابة، إضافة لما دعا له به رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، ولعل هذا ما لا يدرك أثره، أمثال هذا المستشرق.

وبالحديث عن الشرط الذي ذكرته عن صحة النسبة، فما ذكره المستشرق بوجه عام مطلق بقوله: "وأخبار التفسير التي ترجع إليه تعد أكثر ما ينال الإيثار والتفضيل من تبيان لفهم القرآن" يُعد مغالطة؛ فليس كل ما ينسب لابن عباس - رضي الله عنهما - يثبت عنه، فكثير مما نسب إليه أجمع الأئمة على توهينه، بل إن الوضاعين والكذابين الراغبين في إدخال شيء على التفسير ليس منه يؤثرون نسبه وتلقيقه لابن عباس لمكانته وطول باعه في التفسير ببركة دعوة البشير النذير صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ فَهِّمُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمُهُ التَّأْوِيلَ»، وذلك كما ينسب الوضاعون الروايات المكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم زورا وبهتانا، ولا يقدح ذلك في الموحى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهذا ما أكده جولدتسيهر بعد ذلك فناقض كلامه السابق بقوله: "وعند من اعتادوا ممارسة هذا التفسير لم يعد هناك منذ زمن طويل مجال للشك في أنه لا يكاد يرجع شيء، أو لا يرجع على الحقيقة إلا جد قليل، إلى ابن عباس مما أحاطه العلماء المتأخرون بهالة من اسمه، وعلم النقد الإسلامي نفسه وضع فروقا بين مراتب صحة الأسانيد الكثيرة التفرع التي تنتهي إلى ابن عباس، وقد سميت إحدى سلاسل الرواية الراجعة إليه: سلسلة الكذب، مما يدل على أن النقد الإسلامي أيضا لم ينكر افتراض أن هناك من حاول وضع محصول متأخر في قالب سليم، مزودا ذلك بحجبة خبرة ابن عباس التي لا ينزع فيها أحد".^٢

١ - سبق تخريجه في ترجمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

٢ - مذاهب التفسير الإسلامي ص (٩٤).

وأما قوله: "وترى الرواية الإسلامية أنه تلقى بنفسه في اتصاله الوثيق بالرسول وجوه التفسير التي يوثق بها وحدها" فهذه أشد مغالطة، من وجوه:-

١- أين هذه الرواية الإسلامية المزعومة التي تقرر أن وجوه التفسير المتلقاة عن ابن عباس التي تلقاها من مشكاة النبوة، هي وحدها التي يوثق بها؟!، ولو عمّر جولدتسيهر عمر نبي الله نوح عليه السلام، باحثا في أمثال كنز قارون من الكتب ليعثر عن مثل هذا ما استطاع إلى شيء من ذلك سبيلا، ودونه خرط القتاد، ثم أين هو من روايات التفسير الأخرى المتلقاة عن مئات الصحابة الموثوقة والمنثورة في كتب التفسير والرواية، والمرفوعة إلى الجنب العالي للنبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم؟! فهذا الزعم لا يقوم على ساق، ولا يستند إلى وثاق.

٢- لا أدري حقيقة، هل لفظ "التفسير" هنا جاء معرّفا بالألف واللام، أو جاء نكرة في الأصل، إذ الترجمة يجري فيها من وجوه التصرف ما يحدث مثل هذا، وعلى كل حال، فبالنظر إلى الجملة هنا ولفظ التفسير المعرف، فهذا كذلك فيه نظر، فابن عباس رضي الله عنهما تلقى بعض وجوه تفسير من النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، بما لا يشويه ريب، لكنه ما تلقى وجوه التفسير كلها، التي تفيد الاستغراق، إلا أن تكون أل هنا للعهد، وهذه وإن كانت لطيفة، لكني رأيت ذكرها للإفاداة والتنبيه، فابن عباس ما زعم مثل هذا الاستغراق، ولم يزعم أحد له مثل ذلك.

٣- بل إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يفسر كل آيات القرآن للصحب الكرام، وإنما فسر لهم ما أشكل عليهم فحسب، ثم لكونهم عاصروا نزول القرآن، وأدركوا أحواله ومناسباته دون غيرهم ممن جاء بعدهم، كانوا جديرين بتفسير ما أشكل على غيرهم ممن جاء بعدهم، إضافة إلى ما نقلوه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أضف إلى ذلك أنهم كانوا عربا خلصا، يدركون معاني المفردات اللغوية والأساليب البيانية أكثر ممن جاء بعدهم ممن لم يصل لما وصلوا إليه من الفصاحة والإتقان.

بقي أمر، ألا وهو: ما زوي عن ابن عباس من وجوه التفسير، في ميزان العلم الشرعي عموما، والنقدي على وجه الخصوص، رواية، ودراية، يمكن إجماله فيما يأتي:-

أولاً: لا يشترط في وثوق الرواية أن يسمعها من النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه، فمراسيل الصحابة لها حكم الاتصال عند جماهير المحدثين^١، ومنها جملة في الصحيحين.

ثانياً: لا يلزم من ثبوت الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما كونها مروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يشترط أن يكون التفسير مباشراً من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالمعروف أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفسر القرآن كله، وإنما فسر لهم ما أشكل عليهم، وقد ثبت عن ابن عباس نفسه قال: "التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يُعذر أحد بجهالة، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله"^٢.

ثالثاً: لم يرد في رواية أنه استأثر بالتفسير دون غيره، ولكن ما ورد أنه تمكن في التفسير حتى تميز على غيره ببركة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد أخرج البخاري بسنده عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا، ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم. قال: فدعاهم ذات يوم، ودعاني معهم، قال: وما ربيته دعاني يوماً إلا ليأريهم مني، فقال: ما تقولون: {إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون} حتى حتم السورة؟، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره، إذا نصرتنا وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، أو: لم يقل بعضهم شيئاً، فقال لي: يا ابن عباس أكذلك

١ - قال ابن الصلاح في مقدمته: "ثم إننا لم نعد في أنواع المرسل ونحوه، ما يُسمى في أصول الفقه "مرسل الصحابي"، مثل ما يرويه ابن عباس وغيره من أحداث الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يسموه منه؛ لأن ذلك في حكم الموصول المسند؛ لأن روايتهم عن الصحابة، والجهالة بالصحابي غير قادمة؛ لأن الصحابة كلهم عدول، والله أعلم" (مقدمة ابن الصلاح ص (٢١١) ، ٢١٢).

٢ - أخرجه الطبري في "جامع البيان" (٧٥/١) ح (٧١)، وينظر: تفسير القرآن العظيم (١٤/١)، (١٠/٢) قال ابن كثير رحمه الله: "ويروى هذا القول عن عائشة، وعروة، وأبي الشعثاء، وأبي نهيك، وغيرهم".

٣ - سورة النصر الآيتان (١ ، ٢).

تَقُولُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَعْلَمَهُ اللَّهُ لَهُ {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} فَتُخَمَّكَ، فَذَلِكَ عَلَامَةٌ أَجَلِكَ {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} قَالَ عُمَرُ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ^٢.

فقد علم عمر مثل ما علم ابن عباس، بل وشهد له بالعلم والفقه.

ثم ناقض جولدتسيهر نفسه فقال: "وأجد من ذلك بالتصديق الأخبار التي تفيد أن ابن عباس كان لا يرى غضاضة أن يرجع في الأحوال التي يخامر الشك إلى من يرجو عنده علمها، وكثيرا ما ذكر أنه كان يرجع في تفسير معاني الألفاظ إلى من يدعى: أبا الجلد^٣...." قلت: فكيف استأثر بالتفسير دون غيره وفي الوقت ذاته لا يرى غضاضة أن يرجع في الأحوال التي يخامر الشك إلى من يرجو عنده علمها؟؟؟!!!

وأما قوله: "وقد أغفلت هذه الرواية بسهولة، كما في أحوال أخرى مشابهة، أن ابن عباس رضي الله عنهما عند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم كان أقصى ما بلغ من السن ١٠ - ١٣ سنة" فيرد عليه:-

بأن الصبي المميز يجوز أن يتحمل الرواية عند جماهير المحدثين، ويضاف إلى ذلك: أن كثيرا من الروايات تلقاها عن غيره من الصحابة الكرام، ومراسيل الصحابة لها حكم المتصل المسند؛ لكون الصحابة كلهم عدول كما ذهب إليه جماهير أهل السنة كما سبق.

أخرج الدارمي بسنده: "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا تُوْفِيَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قُلْتُ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا فَلَانُ: هَلُمَّ فَلْتَسْأَلْ أَصْحَابَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَإِنَّهُمْ الْيَوْمَ كَثِيرٌ، فَقَالَ: وَأَعْجَبًا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ! أَتَرَى

١ - سورة النصر الآية رقم (٣).

٢ - صحيح البخاري: كتاب المغازي/ باب منزل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح(٤/١٥٦٣) ح(٤٠٤٣).

٣ - مذاهب التفسير الإسلامي ص(٨٥)، وأبو الجلد هو: "جيلان بن فروة الأسدي البصري، صاحب كتب التوراة ونحوها، روى عنه: قتادة، وأبو عمران الجوني، قال أحمد بن حنبل: ثقة" (الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٥٤٧/٢)، وسيأتي المزيد عنه في المبحث الثاني.

النَّاسِ يَحْتَاجُونَ إِلَيْكَ وَفِي النَّاسِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَنْ تَرَى؟ فَتَرَكَ ذَلِكَ، وَأَقْبَلْتُ عَلَى الْمَسْأَلَةِ، فَإِنْ كَانَ لَيَبْلُغُنِي الْحَدِيثُ عَنِ الرَّجُلِ فَآتِيهِ وَهُوَ قَائِلٌ فَاتَوَسَّدُ رِدَائِي عَلَى بَابِهِ فَتَسْفِي الرِّيحُ عَلَى وَجْهِهِ التُّرَابَ فَيَخْرُجُ فَيُرَانِي، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ مَا جَاءَ بِكَ؟ أَلَا أُرْسَلْتُ إِلَيْكَ فَآتَيْتُكَ؟ فَأَقُولُ: لَا أَنَا أَحَقُّ أَنْ آتِيكَ، فَاسْأَلُهُ عَنِ الْحَدِيثِ، قَالَ: فَبَقِيَ الرَّجُلُ حَتَّى رَأَى وَقَدْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيَّ، فَقَالَ: كَانَ هَذَا الْفَتَى أَعْقَلَ مِنِّي^١.

فضلا عن أن التفسير الثابت عن ابن عباس ليس كله بالرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن أحد من الصحابة، وإنما فيه كثير من الطرق الأخرى كمعرفة أقوال العرب واستعمالاتها للألفاظ في ضوء نظرية السياق، وأبرز الأمثلة على ذلك ردوده على نافع بن الأزرق^٢.

١ - سنن الدارمي (١/١٥٠) ح (٥٧٠)، وقد سبق تخريجه في ترجمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

٢ - مسائل نافع بن الأزرق أخرجها الطبراني وابن الأنباري، وجمعها السيوطي رحمه الله تعالى في "الإتقان في علوم القرآن" (٢/٦٧ : ١٠٥)، وسيأتي الحديث عنها في المبحث الثالث.

المبحث الثاني

الزعم بتوسعه رضي الله عنه في الأخذ عن أهل الكتاب، وتفنيد ذلك والرد عليه يقول جولدتسيهر:

"وأجدر من ذلك بالتصديق الأخبار التي تفيد أن ابن عباس كان لا يرى غضاضة أن يرجع في الأحوال التي يخامر الشك إلى من يرجو عنده علمها، وكثيرا ما ذكر أنه كان يرجع في تفسير معاني الألفاظ إلى من يدعى: أبا الجلد، والظاهر أنه غيلان بن فروة الأزدي الذي كان يثني عليه بأنه قرأ الكتب، وقد ذكرت بنته علي وجه الخصوص: أن أباه كان يقرأ القرآن كل سبعة أيام، ويختم التوراة كل ثمانية أيام بالرواية والفهم - يبدو أن سبعة أيام إلى ثمانية أيام كانت تعد مدة وسطا لختم القرآن بفهم - وكان يدعو جماعة كبيرة من الناس احتفالا بكل مرة يختم فيها التوراة، ويرى أن هذا العمل الصالح يستوجب رحمة الله ورضاه".

ولا يتضح حقاً من هذا الخبر الغامض الذي ربما زادته مغالاة ابنته غموضاً، أي نسخة من التوراة كان يستخدمها في دراسته، وكثيرا ما تجد بين مصادر العلم المفضلة لدى ابن عباس اليهوديين اللذين اعتنقا الإسلام: كعبد الأحيار وعبد الله بن سلام، كما نجد أهل الكتاب على وجه العموم أي رجالاً من طوائف ورد التحذير من أخبارها - عدا ذلك - في أقوال تنسب إلى ابن عباس نفسه، ومن الحق أن اعتناقهم للإسلام قد سما بهم على المظنة، ورفعهم إلى مرتبة مصادر العلم التي لا تثير ارتياباً، ولم يعد (أوتولوث) شاكلة الصواب إذ يتحدث عن مدرسة ابن عباس ذات المسحة اليهودية وأخبار الكتب السابقة، التي

ذكر كثيرًا عنها من الفوائد، بل كان يسأل أيضًا كعب الأخبار مثلًا عن التفسير الصحيح للتعبيرين القرآنيين: أم الكتاب^١، والمرجان^٢.

كان يفترض عند هؤلاء الأخبار اليهود، فهم أدق للمدارك الدينية العامة الواردة في القرآن في أقوال الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وكان يرجع إلى أخبارهم في مثل هذه المسائل على الرغم من ضروب التحذير الصادرة من جوانب كثيرة فيهم.

ففي تعيين وقت الجمعة الذي أخبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن أداء المسلم الصلاة فيه لا بد أن يقبل، ذكر أن أبا هريرة طلب بيان ذلك عند كعب الأخبار وعبد الله بن سلام، وذلك بأنهما يعرفان التوراة التي لا بد أن يوجد فيها مثل ذلك.

والظاهر أن المحور الذي تدور حوله مثل هذه الأخبار في الغالب هو افتراضات المسلمين في الزمن المتأخر، ويدل على مدى ما تستطيع أن تبلغه مثل هذه الافتراضات من طابع السذاجة ما روى مثلًا من حصول اختلاف بين ابن عباس وعمرو بن العاص على قراءة كلمة من (الذني) في الآية (٧٦) من سورة الكهف هل هي بتشديد نون لذني أو بتخفيفها، وأن الاثنين قصدا إلى كعب الأخبار لتسوية هذا الخلاف^٣.

١ - أخرجه الطبري في "جامع البيان" (٤٩١/١٦) ح (٢٠٥١٢) بسنده عن ابن عباس، أنه سأل كعب الأخبار عن أم الكتاب، فقال: عَلِمَ اللَّهُ مَا هُوَ خَالِقٌ وَمَا خَلْفُهُ عَامِلُونَ، فَقَالَ لِعَلِمِهِ: كُنْ كِتَابًا، فَكَانَ كِتَابًا.

٢ - لم أقف عليه من سؤال ابن عباس رضي الله عنهما لكعب الأخبار، والذي وقفت عليه ما أخرجه الطبري في "جامع البيان" (٣٣/٢٣ ، ٣٤) بسنده عن عبد الله بن ميسرة الحراني قال: ثَبِي شَيْخٌ بِمَكَّةَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، أَنَّهُ سَمِعَ كَعْبَ الْأَخْبَارِ يُسْأَلُ عَنِ الْمَرْجَانِ، فَقَالَ: هُوَ الْبُسْدُ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: الْبُسْدُ لَهُ شِغْبٌ ثَلَاثٌ، وَهُوَ أَحْسَنُ مِنَ اللَّوْلُوِّ.

قلت: وما أخرجه الطبري في تفسير اللؤلؤ عن ابن عباس ليس عن كعب الأخبار، وإنما هو من طريق زهير، عن جابر، عن عبد الله بن يحيى، عن علي وعن عكرمة، عن ابن عباس، قال: المرجان: عظيم اللؤلؤ.

٣ - مذاهب التفسير الإسلامي ص (٨٥ : ٨٨).

الرد:-

قوله: "أن ابن عباس كان لا يرى غضاضة أن يرجع في الأحوال التي يخامر الشك إلى من يرجو عنده علمها:-"

من المعروف أن الذي يطلب العلم يطلبه من القاصي والداني، من الصغير والكبير، من القليل والكثير، بل إن الأئمة كانوا يروون المقبول وغيره، ثم ينتقون بعد ذلك المقبول وينبهون على المردود، فلا ينقص من قدر العالم أن يتلقى عن من هو أقل منه، وفي الوقت ذاته عنده من الأدوات ما يستطيع أن يميز به الغث من السمين، ومن صور الرواية عند المحدثين رواية الأكابر عن الأصاغر، وقد روى النبي صلى الله عليه وسلم عن تميم الداري رضي الله عنه^١.

قال الشيخ محمد حسين الذهبي رحمه الله تعالى في ترجمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:-

" كان رضي الله عنه يرجع إلى أهل الكتاب ويأخذ عنهم، بحكم اتفاق القرآن مع التوراة والإنجيل في كثير من المواضع التي أُجْمِلت في القرآن وفُصِّلت في التوراة أو الإنجيل، ولكن كما قلنا: إن الرجوع إلى أهل الكتاب كان في دائرة محدودة ضيقة، تتفق مع القرآن وتشهد له، أما ما عدا ذلك مما يتنافى مع القرآن، ولا يتفق مع الشريعة الإسلامية، فكان ابن عباس لا يقبله ولا يأخذ به"^٢.

وأما قوله: "وكثيرا ما ذكر أنه كان يرجع في تفسير معاني الألفاظ إلى من يدعى: أبا الجلد، والظاهر أنه غيلان بن فروة الأزدي....." فنقول:-

"إن أبا الجلد وهو جيلان بن فروة من تلاميذ ابن عباس، وقد ثبت أنه لازمته سنتين كما أخرجه عبد الله بن أحمد في "العلل" قال: "حدثني أبي، قال: حدثنا سيار، قال: حدثنا جعفر، قال: حدثنا أبو عمران

١ - صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراف الساعة/ باب قصة الجاساسة(٤/٢٢٦١) ح(٢٩٤٢).

٢ - التفسير والمفسرون (١/٥٤).

الْجُونِي، عَنِ أَبِي الْجَلْدِ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ فِي دَارِهِ سَنَتَيْنِ يَسْأَلُنِي، وَسَأَلَنِي عَنِ السَّمَاءِ مَا هِيَ فَقُلْتُ: مَوْجٌ مَكْفُوفٌ^١، قَالَ أَبِي: أَبُو الْجَلْدِ اسْمُهُ: جِيلَانُ بْنُ فَرْوَةَ^٢.

أَلَا تَرَى قَوْلَهُ: "حَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ فِي دَارِهِ سَنَتَيْنِ"، فَالْأَصْلُ أَنْ أَبَا الْجَلْدِ هُوَ الَّذِي يَتَلَقَى مِنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لَا يَمْنَعُ مِنْ سَوْأَلِ ابْنِ عَبَّاسٍ لَهُ عَنْ بَعْضِ الْمَسَائِلِ الَّتِي تَلَقَّاهَا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

قُلْتُ: وَلَا يَعْنِي سَوْأَلُ ابْنِ عَبَّاسٍ لَهُ عَنْ بَعْضِ الْمَسَائِلِ الَّتِي تَلَقَّاهَا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالَّتِي تَدْخُلُ فِي نِطَاقِ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَحَدَّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ»^٣ أَنْ تَلْقِيهِ لِلتَّفْسِيرِ كَانَ مِنْ أَبِي الْجَلْدِ كَمَا زَعَمَ جَوْلِدَتْسِيهَر.

وَأَمَّا اتِّهَامُهُ إِيَّاهُ بِكَوْنِهِ يَرْوِي الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ عَمَّنْ أَسْلَمَ، كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، وَكَعَبِّ الْأَحْبَارِ، وَغَيْرِهِمَا: فَذَلِكَ كُلُّهُ أَيْضًا لَا يَخْرُجُ عَنْ دَائِرَةِ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَحَدَّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ».

وَكَيْفَ يَعْتَرِضُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ نَقْلَهُ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَهُوَ صَاحِبُ النَّهْيِ عَنِ التَّوَسُّعِ فِي الْأَخْذِ عَنْهُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَالْقِسْمُ الَّذِي يَنْهَى عَنْهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هُوَ مَا عَلِمَ تَحْرِيفَهُ وَالَّذِي يَتَعَارَضُ مَعَهُ مَا جَاءَ فِي شَرِيعَتِنَا.

أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ بِسَنَدِهِ "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ، وَكِتَابُكُمْ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيَّ نَبِيِّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَحَدَثُ الْأَخْبَارِ بِاللَّهِ،

١ - موج مكفوف أي: ممنوع من الاسترسال، حفظها الله أن تقع على الأرض، وهي معلقة بلا عمد كالموج المكفوف تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي (١٣٢/٩).

٢ - العلل ومعرفة الرجال (٢٠١/١) ح (٢٠١).

٣ - جزء من حديث صحيح أخرجه الإمام البخاري في: كتاب الأنبياء/ باب ما ذكر عن بني إسرائيل (١٢٧٥/٣) ح (٣٢٧٤)، وتام الحديث: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدَّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَدًّا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

تَفْرَعُونَهُ لَمْ يُشَبَّ، وَقَدْ حَدَّثَكُمْ اللَّهُ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ بَدَّلُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ وَعَيَّرُوا بِأَيْدِيهِمُ الْكِتَابَ، فَقَالُوا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا، أَفَلَا يَنْهَأكُمْ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ عَنِ مُسَاعَلَتِهِمْ، وَلَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِنْهُمْ رَجُلًا قَطُّ يَسْأَلُكُمْ عَنِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ"¹.

فما ورد من النهي عن الرواية عنهم إنما يحمل على ما ورد مما يخالف ما جاء في شرعنا خاصة في الأمور العقديّة كقضية التثليث والصلب والقداء، وكذلك يحمل على التوسع في الرواية عنهم في كل المسائل، والتوسع في طلبها، والاعتماد عليها اعتمادا كلياً، ففي شرعنا ما يغني عن هذا كله، لكن لا بأس بذكر بعض الأمور اليسيرة الواردة عنهم والتي لا تتعارض مع ما جاء في القرآن الكريم وسنة النبي الأمين، كـبعض التفاصيل الواردة في قصة ابني آدم وقصة أصحاب الكهف وأصحاب القرية وغيرهم.

فقوله: "كان يفترض عند هؤلاء الأخبار اليهود، فهم أدق للمدارك الدينية العامة الواردة في القرآن في أقوال الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وكان يرجع إلى أخبارهم في مثل هذه المسائل على الرغم من ضروب التحذير الصادرة من جوانب كثيرة فيهم" مردود بما ذكرنا.

قال الإمام الذهبي رحمه الله ردا على هذا الاتهام:-

"والحق أن هذا غلو في الرأي، ويُعدّ عن الصواب، فابن عباس وغيره من الصحابة، كانوا يسألون علماء اليهود الذين اعتنقوا الإسلام، ولكن لم يكن سؤالهم عن شيء يمس العقيدة، أو يتصل بأصول الدين أو فروعه، وإنما كانوا يسألون أهل الكتاب عن بعض القصص والأخبار الماضية، ولم يكونوا يقبلون كل ما يُروى لهم على أنه صواب لا يتطرق إليه شك، بل كانوا يُحْكَمون دينهم وعقلهم، فما اتفق مع الدين والعقل صدقوه، وما خالف ذلك نبذوه، وما سكت عنه القرآن واحتمل الصدق والكذب توقّفوا فيه. وبهذا المسلك يكون الصحابة - رضوان

١ - صحيح البخاري: كتاب الشهادات/ باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها (٩٥٣/٢) ح (٢٥٣٩).

الله عليهم - قد جمعوا بين قوله عليه الصلاة والسلام: «حَدَّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ»، وقوله: «لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَدِّبُوهُمْ»^١ فإن الأول محمول على ما وقع فيهم من الحوادث والأخبار، لما فيها من العظة والاعتبار، بدليل قوله بعد ذلك: «فإن فيهم أعاجيب»^٢. والثاني محمول على ما إذا كان المُخْبَرُ به من قِبَلِهِمْ محتملاً، ولم يقدّم دليل على صدقه ولا على كذبه، لأنه ربما كان صدقاً في نفس الأمر فيكون في التكذيب به حَرَجٌ، وربما كان كذباً في نفس الأمر فيكون في التصديق به حَرَجٌ، ولم يرد النهي عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بواقفه»^٣.

وأما قوله: «ففي تعيين وقت الجمعة الذي أخبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن أداء المسلم الصلاة فيه لا بد أن يقبل، ذكر أن أبا

١ - جزء من حديث صحيح أخرجه الإمام البخاري في: كتاب التفسير/ سورة البقرة/ باب: {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا} (٤/١٦٣٠) ح (٤٢١٥)، و (٦/٢٦٧٩) ح (٦٩٢٨)، و ص (٢٧٤٢) ح (٧١٠٣)، وتمام الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَعُونَ التَّوْرَةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ، وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَدِّبُوهُمْ، وَقُولُوا {آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ} الْآيَةَ».

٢ - أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف في الأحاديث والآثار": كتاب الأدب/ باب في الرخصة في حديث بني إسرائيل (٥/٣١٨) ح (٢٦٤٨٦) عن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تَحَدَّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَإِنَّهُ كَانَتْ فِيهِمْ أَعَاجِيبٌ»، وصححه الشيخ الألباني في "سلسلة الأحاديث الصحيحة" (٦/٤٢٥) ح (٢٩٢٦).

٣ - التفسير والمفسرون (١/٥٦)، ومن المعلوم أن الإسرائيليات من حيث القبول والرد تنقسم إلى ثلاثة أقسام:-

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح، والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه، والثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجوز حكايته، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني" (مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ٤٢).

هريرة طلب بيان ذلك عند كعب الأحبار وعبد الله بن سلام^١، وذلك بأنهما يعرفان التوراة التي لا بد أن يوجد فيها مثل ذلك" فذلك أيضا يدخل في دائرة جواز الأخذ عن بني إسرائيل بما لا يتعارض مع ما ورد في القرآن الكريم والسنة الثابتة، فثبتت هذه الساعة ثابت في السنة الصحيحة، فأصل الحديث في الصحيحين^٢، وتحديد الساعة عن طريق معرفتها عن نقل عن بني إسرائيل ككعب الأحبار وعبد الله بن سلام لا

١ - الحديث المراد أخرجه الإمام أبو داود في: كتاب الصلاة/ باب فضل يوم الجمعة ولبلة الجمعة (٢٧٧/٢ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩) ح (١٠٤٦) بسنده عن أبي هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُهْبِطَ، وَفِيهِ تِيبَ عَلَيْهِ، وَفِيهِ مَاتَ، وَفِيهِ تَقَوْمُ السَّاعَةِ، وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا وَهِيَ مُسِيخَةٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، مِنْ حِينَ تُصْبِحُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ شَقِيقًا مِنَ السَّاعَةِ، إِلَّا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ يُصَلِّيُ يَسْأَلُ اللَّهَ حَاجَةً، إِلَّا أُعْطَاهُ إِيَّاهَا»، قَالَ كَعْبٌ: ذَلِكَ فِي كُلِّ سَنَةٍ يَوْمٌ، فَقُلْتُ: «بَلْ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ»، قَالَ: فَقَرَأَ كَعْبُ التَّوْرَةَ، فَقَالَ: صَدَقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: ثُمَّ لَقِيتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ، فَحَدَّثْتُهُ بِمَجْلِسِي مَعَ كَعْبٍ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: قَدْ عَلِمْتُ آيَةَ سَاعَةٍ هِيَ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ لَهُ: فَأَخْبِرْنِي بِهَا، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: هِيَ آخِرُ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَقُلْتُ: كَيْفَ هِيَ آخِرُ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ يُصَلِّيُ»، وَتِلْكَ السَّاعَةُ لَا يُصَلِّيُ فِيهَا، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ جَلَسَ مَجْلِسًا يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ فَهُوَ فِي صَلَاةٍ حَتَّى يُصَلِّيَ»، قَالَ: فَقُلْتُ: بَلَى، قَالَ: هُوَ ذَلِكَ، وَقَالَ شَعِيبُ الْأَرْنَؤُوطُ: "إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ"، وَأَخْرَجَهُ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ فِي: أَبْوَابِ الْجُمُعَةِ/ باب ما جاء في الساعة التي ترجى في يوم الجمعة (٣٦٢/٢) ح (٤٩١) ولم يذكر قصة كعب الأحبار وقال: "حسن صحيح"، وصححه الألباني.

٢ - متفق عليه، أخرجه الإمامان: البخاري في: كتاب الجمعة/ باب السَّاعَةِ الَّتِي فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ (٣١٦/١) ح (٨٩٣) بسنده "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ: «فِيهِ سَاعَةٌ لَا يُؤَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّيُ، يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئًا إِلَّا أُعْطَاهُ إِيَّاهُ»، وَأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا، وَمُسْلِمٌ فِي: كِتَابِ الْجُمُعَةِ/ باب في الساعة التي في يوم الجمعة (٥٨٣/٢) ح (٨٥٢) بلفظ قريب من لفظ البخاري - رحمه الله -.

يضر، وإنما هو ادعى لمزيد من الاهتمام بتلك الساعة الأخيرة من يوم الجمعة بزيادة من الجد والاجتهاد في الذكر والدعاء، والله أعلم.

وأما قوله: " والظاهر أن المحور الذي تدور حوله مثل هذه الأخبار في الغالب هو افتراضات المسلمين في الزمن المتأخر، ويدل على مدى ما تستطيع أن تبلغه مثل هذه الافتراضات من طابع السذاجة ما روى مثلاً من حصول اختلاف بين ابن عباس وعمرو بن العاص على قراءة كلمة من (لدي) في الآية (٧٦) من سورة الكهف هل هي بتشديد نون لدني أو بتخفيفها، وأن الاثنين قصدا إلى كعب الأخبار لتسوية هذا الخلاف"، فهذا خطأ في نقل الرواية، فالرواية وردت في سنن الترمذي بسنده عن ابن عباس عن أبي بن كعب: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَرَأَ: {فِي عَيْنِ حَمِيَّةٍ}١. قَالَ أَبُو عِيْسَى: "هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَالصَّحِيحُ مَا رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قِرَاءَتُهُ، وَيُرْوَى أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَعَمْرُو بْنَ الْعَاصِ اخْتَلَفَا فِي قِرَاءَةِ هَذِهِ الْآيَةِ وَارْتَفَعَا إِلَى كَعْبِ الْأَخْبَارِ فِي ذَلِكَ، فَلَوْ كَانَتْ عِنْدَهُ رِوَايَةٌ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَأَسْتَعْنَى بِرِوَايَتِهِ وَلَمْ يَخْتَجِ إِلَى كَعْبٍ"٢.

قلت: وأما قصة اختلاف ابن عباس وعمرو بن العاص -التي ذكرها الترمذي- فقد عزاها السيوطي في "الدر المنثور" إلى سعيد بن منصور وابن المنذر من طريق عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خالفت عمرو بن العاص عند معاوية في {حَمِيَّةٍ} وحامية قرأتها {فِي عَيْنِ حَمِيَّةٍ} فَقَالَ عَمْرُو: حامية فسألنا كعباً فقال: إِنَّهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ الْمُنْزَلِ تَغْرِبُ فِي طَبِئَةِ سَوْدَاءٍ"٣.

١ - سورة الكهف جزء من الآية رقم (٨٦).

٢ - سنن الترمذي: كتاب القراءات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم/ باب من سورة الكهف (١٨٨/٥) ح (٢٩٣٤)، وصححه الألباني.

٣ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥/٤٥١، ٤٥٢).

والرواية ليس فيها ذكر لقراءة {مِنْ لَدُنِّي}، لكن الأمر اختلط على جولدتسيهر، فيحتمل أن يكون قرأ رواية ذكر قراءة: {مِنْ لَدُنِّي} ثم لفت نظره ذكر الاختلاف المذكور في قراءة: {فِي عَيْنِ حَمِيَّةٍ} فلنفق بين الروایتين لشدة عجلته، أو محاولة منه لتثبيت شبهته المزعومة، وهي في واقع الأمر محض لبس وتخليط.

-
- ١ - سورة الكهف جزء من الآية رقم (٧٦).
 - ٢ - سورة الكهف جزء من الآية رقم (٧٦).
 - ٣ - سورة الكهف جزء من الآية رقم (٨٦).

المبحث الثالث

الزعم برجوعه رضي الله عنه إلى الشعراء القدامى الذين كان يرى الاعتداد باستعمالهم اللغوي في التفسير، وتفنيد ذلك والرد عليه يقول جولدتسيهر:

"كانت هناك تعبيرات شديدة الندرة في لغة القرآن تبدو أحيانا غير مفهومة للمثقفين أيضا من الأمة، الذين كانوا يطلبون تفسيرها عند من هم أعلم بها منهم.

وفي مثل هذه المسائل كان دأب ابن عباس أن يحيل على الشعراء القدامى، الذين كان يرى الاعتداد باستعمالهم اللغوي في التفسير، فهو يصرح في مناسبة تفسيره للفظ: "حرج" في الآية (٧٨) من سورة الحج بهذا المبدأ: "إذا تعاجم شيء من القرآن فانظروا في الشعر فإن الشعر عربي".^١

حقا نسبت إليه أيضا تفسيرات ذكر فيها عن كلمات قرآنية أنها من الدخيل المأخوذ من لغات أجنبية.

وعلى أساس هذه الأقوال يبدو أنه كان لا يرى بأسا بافتراض اشتغال القرآن على مادة لغوية غير عربية.

وبذلك المبدأ المنهجي المنسوب إلى ابن عباس اقترنت على النمط العربي أسطورة مدرسية عظيمة الإفادة، وجدت مدخلا إلى المعجم الكبير للطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ، ٩٧١م).

وذلك أن الزعيم الخارجي: نافع بن الأزرق سأل ابن عباس عن عدد كبير من مفردات القرآن، طالبا إليه أن يستشهد على معانيها من الشعر القديم، فجاء جواب ابن عباس على مسائل نافع بن الأزرق الاستشهاد على تفسير نحو مائتي كلمة بشواهد من الشعر القديم.

وهذه مباحة من عالم اللغويين المتأخرين لأبي التفسير الذي نمي الطريقة اللغوية في تفسير القرآن، ويذكر له أنه زيادة على معارفه

١ - ينظر: جامع البيان (٦٩٠/١٨) تفسير الآية رقم (٧٨) من سورة الحج: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾.

الدينية والفقهية كان يعرض أيضا بخبرة حجة في شئون اللغة إفادات
عن الرواية التاريخية (المغازي وأيام العرب) وعن الشعر القديم وما
شاكل ذلك، وقد بدأ أهل الورع من علماء الدين أولا في جبل تال
يظهرون كراهيتهم للشعر".^١

الرد:-

القرآن الكريم كلام رب العالمين، لكنه نزل بلسان عربي مبين، فمن أراد أن يعرف المراد منه وأن يفهم معانيه ويعرف مرامييه فليتعمق في مدارس الكلام العربي شعرا ونثرا، فقد نزل القرآن بين ظهراي أساطين اللغة والبيان، وقد استوعبوا كلماته وعجزوا في الوقت ذاته عن محاكاة سوره وآياته، مع إمامهم بأصول اللغة ومراميها ومفرداتها ومبانيها وجملها وسائر معانيها، ولم يجدوا ثمة ثلثة أو ثغرة أو هفوة أو غلطا أو اختلافا، ولو وجدوا لعابوا وفضحوا وما سكتوا، فطريق فهم معاني القرآن مدرسة كلام من نزل بلسانهم ومعرفة أسرار لغتهم وكيفيات استعمالاتهم ومدارسه محاوراتهم وكلامهم شعرهم ونثرهم.

قال الإمام السيوطي في معرض ذكر الشروط التي ينبغي أن تتوفر فيمن يتصدى لتفسير كلام الله تعالى: "يجوز تفسيره لمن كان جامعا للعلوم التي يحتاج المفسر إليها وهي خمسة عشر علما:

أحدها: اللغة؛ لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع، قال مجاهد: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب، وتقدم قول الإمام مالك في ذلك^٢، ولا يكفي في حقه معرفة اليسير منها؛ فقد يكون اللفظ مشتركا وهو يعلم أحد المعنيين والمراد الآخر....."^٣.

١ - مذاهب التفسير الإسلامي ص(٨٩ : ٩١).

٢ - يريد بذلك قوله: "روى البيهقي في الشعب عن مالك قال: لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا" (الإتقان في علوم القرآن ٤/٢٠٩).

٣ - الإتقان في علوم القرآن (٤/٢١٣).

ويؤكد ما ذكرت: ما أخرج عبد الرزاق في "تفسيره" قال: أخبرنا ابنُ التَّيْمِيِّ، قال: أَخْبَرَنِي خَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ، قال: أَخْبَرَنِي عُثْمَانُ بْنُ أَبِي حَاضِرٍ، قال لي ابنُ عَبَّاسٍ: "لَوْ رَأَيْتَ إِلَيَّ وَالْيَ مَعَاوِيَةَ، وَقَرَأْتَ: {فِي عَيْنِ حَمِيَّةٍ} فَقَالَ: «حَامِيَّةٌ» فَدَخَلَ كَعْبٌ، فَسَأَلَهُ فَقَالَ: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِالْعَرَبِيَّةِ مِنِّي، وَلَكِنَّهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنِ سَوْدَاءَ» أَوْ قَالَ: «فِي حَمَاءَةٍ لَا أَدْرِي أَيُّ ذَلِكَ»^٢.

وأخرج ابنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ حَاضِرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ مَعَاوِيَةَ فَقَرَأَ «تَغْرِبُ فِي عَيْنِ حَامِيَّةٍ» فَقُلْتُ لَهُ: مَا نَقَرُوهَا إِلَّا فِي عَيْنِ حَمِيَّةٍ، فَأَرْسَلَ مَعَاوِيَةَ إِلَيَّ كَعْبٌ فَقَالَ: أَيْنَ تَجِدُ الشَّمْسَ فِي التَّوْرَةِ تَغْرِبُ؟ قَالَ: أَمَا الْعَرَبِيَّةُ فَلَا عِلْمَ لِي بِهَا، وَأَمَا أَنَا فَأَجِدُ الشَّمْسَ فِي التَّوْرَةِ تَغْرِبُ فِي مَاءِ وَطِينٍ^٣.

فقوله في الرواية الأولى: "أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِالْعَرَبِيَّةِ مِنِّي"، وقوله في الرواية الثانية: "أَمَا الْعَرَبِيَّةُ فَلَا عِلْمَ لِي بِهَا" يؤكد ذلك.
قال الشيخ الذهبي رحمه الله:-

"كان ابن عباس رضى الله عنه يرجع في فهم معاني الألفاظ الغريبة التي وردت في القرآن إلى الشعر الجاهلي، وكان غيره من الصحابة يسلك هذا الطريق في فهم غريب القرآن، ويحض على الرجوع إلى الشعر العربي القديم، ليُستعان به على فهم معاني الألفاظ القرآنية الغريبة، فهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يسأل أصحابه عن معنى قوله تعالى في الآية (٤٧) من سورة النحل: {أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ} فيقوم له شيخ من هذيل فيقول له: هذه لغتنا، التَخَوُّفُ: التنقص، فيقول له عمر: هل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ فيقول له: نعم، ويروى قول الشاعر:

١ - سورة الكهف جزء من الآية رقم (٨٦).

٢ - تفسير عبد الرزاق (٣٤٤/٢).

٣ - تفسير ابن أبي حاتم (٢٣٨٤/٧) ح (١٢٩٥٠)، وينظر: الدر المنثور (٤٥١/٥ ، ٤٥٢).

*تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكًا قَرْدًا * كما تَخَوَّفَ عُوْدَ النَّبْعَةِ السَّفْنُ*^١
 فيقول عمر رضى الله عنه لأصحابه: "عليكم بديوانكم لا تضلُّوا، قالوا:
 وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم، ومعاني
 كلامكم"^٢.

وأما قوله: "حقا نسبت إليه أيضا تفسيرات ذكر فيها عن كلمات قرآنية
 أنها من الدخيل المأخوذ من لغات أجنبية، وعلى أساس هذه الأقوال
 يبدو أنه كان لا يرى بأسا بافتراض اشتغال القرآن على مادة لغوية
 غير عربية":-

يقول الدكتور أبو شهبه:-

"ومثل هذه الكلمات التي جاءت في القرآن، وقيل إنها غير عربية في
 الأصل كالمشكاة والقسطاس، وإستبرق ونحوها، فإنها إما صارت
 عربية بالاستعمال، أو أنها مما توافقت فيها لغة العرب وغيرهم، ولم
 يظعن وجودها في كون القرآن عربيا مبينا"^٣.

وأما قوله: "وذلك المبدأ المنهجي المنسوب إلى ابن عباس اقترنت
 على النمط العربي أسطورة مدرسية عظيمة الإفادة، وجدت مدخلا إلى
 المعجم الكبير للطبراني(المتوفى: ٣٦٠هـ، ٩٧١م).

وذلك أن الزعيم الخارجي: نافع بن الأزرق سأل ابن عباس عن عدد
 كبير من مفردات القرآن، طالبا إليه أن يستشهد على معانيها من
 الشعر القديم، ف جاء جواب ابن عباس على مسائل نافع بن الأزرق
 الاستشهاد على تفسير نحو مائتي كلمة بشواهد من الشعر القديم،

١ - ديوان ابن مقبل ص(٤٠٥) قاله في وصف ناقه له، "التامك: المرتفع من
 السنام، والقرد: المتلبد بعضه على بعض"(الصحاح ٤/١٣٥٩)، والنبعة: واحدة
 النبع، وهو شجر تتخذ منه القسي(جمع قوس)(الصحاح ٣/١٢٨٨)، "السفن: المبرد، وهو:
 الحديد التي تُبرَدُ بها القسي أي: تنقَص كما تأكل هذه الحديدة خشب القسي"(لسان العرب ٩/٩٩)، ومعنى البيت: تنقص رحلها سنامها المرتفع،
 كما تنقص المبرد عود النبع.

٢ - التفسير والمفسرون(١/٥٦، ٥٧).

٣ - المدخل لدراسة القرآن الكريم ص(١٨٢).

وهذه مباحة من عالم اللغويين المتأخرين لأبي التفسير الذي نمي الطريقة اللغوية في تفسير القرآن، ويذكر له أنه زيادة على معارفه الدينية والفقهية كان يعرض أيضا بخبرة حجة في شئون اللغة إفادات عن الرواية التاريخية (المغازي وأيام العرب) وعن الشعر القديم وما شاكل ذلك" فهذا ليس نقدا، وإنما هو إثبات لإعجاز القرآن الكريم، ودليل على أنه نزل بلغة العرب، ومع ذلك عجزوا عن معارضته، وصدق الله العظيم إذ يقول: {قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا} ١.

قال الشيخ الذهبي رحمه الله بعد أن ذكر رجوع الصحابة إلى الشعر العربي:-

"... غير أن ابن عباس، امتاز بهذه الناحية واشتهر بها أكثر من غيره، فكثيراً ما كان يُسئل عن القرآن فينشد فيه الشعر، وقد روى عنه الشيء الكثير من ذلك، وأوعب ما روى عنه مسائل نافع بن الأزرق وأجوبته عنها، وقد بلغت مائتي مسألة، أخرج بعضها ابن الأنباري في كتاب "الوقف والابتداء"، وأخرج الطبراني بعضها الآخر في معجمه الكبير، وقد ذكر السيوطي في "الإتقان" بسنده مبدأ هذا الحوار الذي كان بين نافع وابن عباس، وسرد مسائل ابن الأزرق وأجوبة ابن عباس عنها، فقال: "بيّنا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن، فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر: بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به، فقاما إليه فقالا: إننا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فنفسرها لنا، وتأتينا بمصادقة من كلام العرب، فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فقال ابن عباس: سلاني عما بدا لكما، فقال نافع: أخبرني عن قول الله تعالى: {عَنِ الَّيْمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ

عَزِينَ^١؟ قال: العزون: حلق الرقاق، قال: هل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول:

*فجاءوا يهرعون إليه حتى * يكونوا حول منبره عزينا؟*

قال: أخبرني عن قوله: {وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ^٢}؟ قال: الوسيلة: الحاجة، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عنتره وهو يقول:

*إِنَّ الرَّجَالَ لَهُمُ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ * إِنَّ يَأْخُذُوكَ تَكْهَلِي وَتَخْضَبِي^٣*

إلى آخر المسائل وأجوبتها، وهي تدل على قوة ابن عباس في معرفته بلغة العرب، وإلمامه بغريبها، إلى حد لم يصل إليه غيره، مما جعله - بحق - إمام التفسير في عهد الصحابة، ومرجع المفسرين في الأعصر التالية للعصر الذي وُجد فيه، وزعيم هذه الناحية من التفسير على الخصوص، حتى لقد قيل في شأنه: "إنه هو الذي أبدع الطريقة اللغوية لتفسير القرآن".

هذا وقد بين لنا ابن عباس رضي الله عنه، مبلغ الحاجة إلى هذه الناحية في التفسير، وحضَّ عليها من أراد أن يتعرف غريب القرآن، فقد روى أبو بكر الأنباري عنه أنه قال: "الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب، رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا ذلك منه"، وروى ابن الأنباري عنه أيضاً أنه قال: "إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب".

فابن عباس رضي الله عنه كان يرى رأى عمر في ضرورة الرجوع إلى الشعر الجاهلي، للاستعانة به على فهم غريب القرآن، بل وكان أكثر الصحابة إماماً بهذه الناحية وتطبيقاً لها^٤.

١ - سورة المعارج الآية رقم (٣٧).

٢ - سورة المائدة جزء من الآية رقم (٣٥).

٣ - ديوان عنتره بن شداد ص (٢٧٣).

٤ - التفسير والمفسرون (١/٥٧، ٥٨).

وأما قوله : "وقد بدأ أهل الورع من علماء الدين أولاً في جبل تال يظهرون كراهيتهم للشعر" : فهو تخليط بين الكلمات والعبارات من حيث دلالتها اللغوية على المعاني وبين مصداقيتها وعدم غوايتها التي يصبو إليها كثير من الشعراء للمداهنة والنفاق والتملق للولاة والأمراء، فثمة فرق بين فصاحة الشعر ودلالة كلماته على المراد من عباراته وبين مراعاة الصدق في الكلام ومطابقتها للحال من دون تملق أو نفاق، قال تعالى: {وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا}١.

قال الإمام السعدي رحمه الله:-

"{وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} عن طريق الهدى، المقبلون على طريق الغي والردى، فهم في أنفسهم غاؤون، وتجد أتباعهم كل غاؤٍ ضال فاسد، {أَلَمْ تَرَ} غوايتهم وشدة ضلالهم {أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ} من أودية الشعر، {يَهِيمُونَ} فتارة في مدح، وتارة في قدح، وتارة في صدق، وتارة في كذب، وتارة يتغزلون، وأخرى يسخرون، ومرة يمرحون، وأونة يحزنون، فلا يستقر لهم قرار، ولا يثبتون على حال من الأحوال.

{وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ} أي: هذا وصف الشعراء، أنهم تخالف أقوالهم أفعالهم، فإذا سمعت الشاعر يتغزل بالغزل الرقيق، قلت: هذا أشد الناس غراماً، وقلبه فارغ من ذلك، وإذا سمعته يمدح أو يذم، قلت: هذا صدق، وهو كذب، وتارة يتمدح بأفعال لم يفعلها، وتروك لم يتركها، وكرم لم يحم حول ساحته، وشجاعة يعلو بها على الفرسان، وتراه أجبن من كل جبان، هذا وصفهم.

قال: ولما وصف الشعراء بما وصفهم به، استثنى منهم من آمن بالله ورسوله، وعمل صالحاً، وأكثر من ذكر الله، وانتصر من أعدائه المشركين من بعد ما ظلموهم، فصار شعرهم من أعمالهم الصالحة، وآثار إيمانهم، لاشتماله على مدح أهل الإيمان، والانتصار من أهل

الشرك والكفر، والذب عن دين الله، وتبيين العلوم النافعة، والحث على الأخلاق الفاضلة فقال: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ} ينقلبون إلى موقف وحساب، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، إلا أحصاها، ولا حقا إلا استوفاه^١.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يمدح تلك المصادقية ويذكر أكثرها صدقا: «أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ كَلِمَةٌ لَيْدٍ أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ، وَكَادَ أَمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ أَنْ يُسَلِّمَ»^٢.

ومن أهل العلم من حمل كراهية الشعر على من غلب عليه، واستدلوا بما رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَأَنْ يَمْتَلِي جَوْفُ الرَّجُلِ قِيحًا يَرِيهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمْتَلِي شِعْرًا».

قال محمد فؤاد عبد الباقي:

"يريه" قال أهل اللغة والغريب: "يريه" من الوري، وهو داء يفسد الجوف، ومعناه قيحا يأكل جوفه ويفسده، قال أبو عبيد: قال بعضهم: المراد بهذا الشعر شعر هجي به النبي صلى الله عليه وسلم، قال أبو عبيد والعلماء كافة: هذا تفسير فاسد؛ لأنه يقتضي أن المذموم من الهجاء ما يمتلى منه الجوف دون قليله وقد أجمع المسلمون على أن الكلمة الواحدة من هجاء النبي صلى الله عليه وسلم موجبة للكفر^٣، قالوا بل الصواب أن المراد أن يكون الشعر غالبا عليه مستوليا عليه

١ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص (٥٩٩).

٢ - متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه الإمامان: البخاري في: كتاب فضائل الصحابة/ باب أيام الجاهلية (٣/١٣٩٥) ح (٣٦٢٨)، وكتاب الأدب/ باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه (٥/٢٢٧٦) ح (٥٧٩٥)، وكتاب الرقاق/ باب الجنة أقرب إلى أحدكم من شرك نعله والنار مثل ذلك (٥/٢٣٨٠) ح (٦١٢٤)، ومسلم في: كتاب الشعر (٤/١٧٦٨) ح (٢٢٥٦).

٣ - قلت (الباحثة): لا يلزم منه ذلك؛ فالكلمة الواحدة من هجاء النبي تملأ الدنيا كلها قيحا وصديدا وليس الجوف وحده.

بحيث يشغله عن القرآن وغيره من العلوم الشرعية وذكر الله تعالى وهذا مذموم من أي شعر كان فأما إذا كان القرآن والحديث وغيرهما من العلوم الشرعية هو الغالب عليه فلا يضر حفظ اليسير من الشعر مع هذا لأن جوفه ليس ممتلئاً شعراً^١.

قلت: ويدل على ذلك: ما أخرجه الإمام البخاري بسنده عن أبي بن كعب أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ مِنَ الشُّعْرِ حِكْمَةً»^٢.

قال الشيخ الذهبي رحمه الله:-

"وقد استمرت هذه الطريقة-يعني تفسير القرآن بالشعر فهو ديوان العرب-إلى عهد التابعين ومن يليهم، إلى أن حدثت خصومة بين متورعي الفقهاء وأهل اللغة، فأنكروا عليهم هذه الطريقة وقالوا: إن فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلاً للقرآن، وقالوا: كيف يجوز أن يُحتج بالشعر على القرآن، وهو مذموم في القرآن والحديث.

والحق أن هذه الخصومة التي جدت في الأجيال المتأخرة لم تقم على أساس، فالأمر ليس كما يزعمه أصحاب هذا الرأي، من جعل الشعر أصلاً للقرآن، بل هو في الواقع، بيان للحرف الغريب من القرآن بالشعر، لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾^٣، وقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾؛ ولهذا لم يتخرج المفسرون إلى يومنا هذا من الرجوع إلى الشعر الجاهلي للاستشهاد به على المعنى الذي يذهبون إليه في فهم كلام الله تعالى"^٤.

١ - صحيح مسلم: كتاب الشعر (١٧٦٩/٤) ح (٢٢٥٧)، وأخرجه البخاري في "الأدب المفرد": بَابُ مَنْ كَرِهَ الْغَالِبَ عَلَيْهِ الشُّعْرُ ص (٣٠١) ح (٨٧٠) وصححه الألباني.

٢ - صحيح البخاري: كتاب الأدب/ باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه (٢٢٧٦/٥) ح (٥٧٩٣).

٣ - سورة الزخرف جزء من الآية رقم (٣).

٤ - سورة الشعراء الآية رقم (١٩٥).

٥ - التفسير والمفسرون (٥٨/١).

المبحث الرابع

الزعم بكتمانه رضي الله عنه كثيرا من العلوم، وتفنيده ذلك والرد عليه

يقول جولدتسيهر:

"روي أيضا أن ابن عباس قد احتفظ لنفسه بقطرات غزيرة كثيرة من بحر علمه، وإذا جاز لنا أن نمنح الأخبار المروية عن أقواله في التفسير قبولا وتصديقا، فهو لم يبح بمعارفه في كل مسألة من المسائل، فقد روي أنه كان يكتب تفسير ما ذكر عن "الروح" في الآية (٨٥) من سورة الإسراء: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾، على أنه سر من الأسرار، وقد بقيت هذه المسألة أيضا في الأزمنة المتأخرة من الأسرار الإلهية التي لا يجوز البحث فيها".^١

الرد:-

إن ما ذكره جولدتسيهر من كتمان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لكثير من العلوم التي علمها، واحتفاظه بها لنفسه مردود، واستشهاده على ذلك بكتمان تفسير ما ذكر عن "الروح" دليل واضح على بطلان كلامه، فظاهر الآية يدل على أنها من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه فلم يطلع عليه أحدا من خلقه، فابن عباس رضي الله عنهما لم يكتب السر لنفسه ولكنه يؤمن بأنه مما استأثر الله بعلمه.

أخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "التفسير أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير تعرفه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى".^٢

قال الإمام الزركشي رحمه الله تعالى:-

"ما لا يعلمه إلا الله تعالى فهو ما يجري مجرى الغيوب نحو الآي المتضمنة قيام الساعة، ونزول الغيث، وما في الأرحام، وتفسير الروح، والحروف المقطعة، وكل متشابه في القرآن عند أهل الحق، فلا مساع لاجتهاد في تفسيره، ولا طريق إلى ذلك إلا بالتوقيف من أحد

١ - مذاهب التفسير الإسلامي ص (٩١).

٢ - جامع البيان (٧٥/١).

ثلاثة أوجه: إما نص من التنزيل، أو بيان من النبي صلى الله عليه وسلم، أو إجماع الأمة على تأويله، فإذا لم يرد فيه توقيف من هذه الجهات علمنا أنه مما استأثر الله تعالى بعلمه^١.

ولعل جولدتسيهر اعتمد في شبهته هذه على ما أخرجه الطبري بسنده عن قتادة: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ} قال: هو جبرائيل، قال قتادة: وكان ابن عباس يكتمه^٢.

قلت (الباحثة): ومعنى يكتمه: يعني لا يُشيعه، وإلا فكيف عرفه قتادة، وقد وردت روايات عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره فكيف يكون كاتما ومحدثا في آن واحد؟!

خرج الطبري بسنده عن ابن عباس، قوله {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ} قال: الروح: ملك^٣.

قال الشيخ الشعراوي رحمه الله تعالى عند تفسيره لهذه الآية:-

"وقد اختلف العلماء في تعريف الروح، وأرى أنه من الأسلم عدم الخوض في ذلك الأمر؛ لأن الحق سبحانه هو القائل: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}"^٤.

"والحق سبحانه حينما قال: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} كان يخاطب بها المعاصرين لرسول الله منذ ما يزيد على ألف وأربعمائة عام، وما زال يخاطبنا ويخاطب من بعدنا، وإلى أن تقوم الساعة بهذه الآية مع ما توصلت إليه البشرية من علم وكأنه سبحانه يقول: يا ابن آدم، الزم غرزك، فإن وقفت على سرِّ فقد غابت عنك أسرار"^٥.

١ - البرهان في علوم القرآن (١٦٦/٢)، وينظر: الإتيان في علوم القرآن (٢١٨/٤)، مناهل العرفان (١١/٢).

٢ - جامع البيان (٥٤٤/١٧)، وينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١١٥/٥).

٣ - جامع البيان (٥٤٤/١٧)، وينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١١٥/٥).

٤ - سورة الإسراء الآية رقم (٨٥).

٥ - تفسير الشعراوي "الخواطر" (٧٦٩٤/١٢).

٦ - سورة الإسراء جزء من الآية رقم (٨٥).

٧ - تفسير الشعراوي "الخواطر" (٨٧٢٢/١٤ ، ٨٧٢٣).

ثم إننا لو سلمنا جدلاً بمقولة جولدتسيهر بكون ابن عباس رضي الله عنهما كان يكتفم بعض التفسير عن بعض الناس فليس هذا بمذموم على إطلاقه، فإن الكتمان على ضربين: الأول: مذموم مقبوح منهي عنه كتاباً وسنة، وهو كتمان الشريعة عن الناس بما يؤول لضياعتها ويتسبب في تحريفها اتباعاً للهوى وإضلالاً للعباد، وهو الداخل في معنى قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمناً قليلاً فَبَيَسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾^١.

والثاني: حجب بعض العلم عن بعض الناس للازم أو لقرينة، وهذا ليس بمذموم، بل بعض ذلك مطلوب شرعاً، ومن ذلك: ما أخرجه الشيخان عن أنس بن مالك: أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَمُعَاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ قَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. ثَلَاثًا. قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: «إِذَا يَتَكَلَّمُوا». وَأُخْبِرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأْتِماً^٢.

وقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةٌ"^٣، وقول علي رضي الله عنه: "حَدَّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أُتْحَبُونَ أَنْ يُكَذِّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ"^٤.

١ - سورة آل عمران الآية رقم (١٨٧).

٢ - أخرجه البخاري في: كتاب العلم/ باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا (٥٩/١) ح (١٢٨)، ومسلم في: كتاب الإيمان/ باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (٦١/١) ح (٣٢).

٣ - أخرجه مسلم في: المقدمة/ باب النهي عن الحديث بكل ما سمع (١٠/١) ح (٥).

٤ - أخرجه البخاري في: كتاب العلم/ باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا (٥٩/١) ح (١٢٧).

فإن ثبت بعض ما ذهب إليه جولدتسيهر من كتمان منسوب لابن عباس رضي الله عنهما فهو واقع تحت هذا الضرب لا محالة، لذا فليس بمقبوح يرد عنه، ولا بمذموم يشينه، ولا يعد قدحا يطعن به فيه. وقد ناقض جولدتسيهر نفسه وذكر بأنها من الأسرار الإلهية التي لا يجوز البحث فيها.

المبحث الخامس

الزعم بعرضه رضي الله عنه الأخبار الإسلامية أحيانا في مظهر مسرحي زاخر بالحياة، وتفنيده ذلك والرد عليه

يقول جولدتسيهر:

"وإذا فإلى هذا العالم المحيط بتفسير القرآن يقصد معاصروه المتطلعون إلى المعرفة بكل ما يحيك في صدرهم من شكوك - وأنا أحكي هذا طبعاً على أساس الأخبار الإسلامية - واختلافهم إلى هذا المفسر القديم لم يعرض دائماً في أسلوب مدرسي جاف، بل أحيانا في مظهر مسرحي زاخر بالحياة.

فقد روي مثلاً أن مستمعيه غمرتهم نشوة من السرور إذ فسر الآية (٢٣) من سورة النور، حتى وثب بعضهم فقبل رأس الإمام الحكيم^١.

وفي القرآن: في الآيات (٢٢ : ٢٩) من سورة القصص (موسى في مدين، عند البئر، في بيت شعيب، زواجه بابنة شعيب)، وفي أساطير متأخرة زيادة على ذلك، امتزجت قصة هرب موسى إلى مدين، ومجرى

١ - أخرج الإمام الطبري بسنده "عن ابن عباس: أنه فسّر سورة النور، فلما أتى على هذه الآية {إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ} ... الآية، قال: هذا في شأن عائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وهي مبهمة، وليست لهم توبة، ثم قرأ: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءِ} ... إلى قوله: {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا} ... الآية، قال: فجعل لهؤلاء توبة، ولم يجعل لمن قذف أولئك توبة، قال: فهم بعض القوم أن يقوم إليه فيقبل رأسه من حسن ما فسّر سورة النور" (جامع البيان ١٩/١٣٩)، والأثر أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" باب تأويل قوله: {إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} (١٥٣/٢٣) ح (٢٣٤)، وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد": كتاب النفسير/ باب تفسير قصة الإفك (١٨٦/٧) ح (١١٢١٣): "رواه الطبراني بأسانيد وفي هذا الإسناد راو لم يسم وبقيّة رجاله ثقات وهو أمثله"، وذكره ابن كثير في "تفسير القرآن العظيم" (٣٢/٦ ، ٣٣) نقلا عن ابن جرير رحمه الله.

حياته في بيت كاهنها^١، بقصة أهل الكتاب عن يعقوب ولبن^٢، ومما جاء في ذلك أنه اشترط على موسى أن يؤدي عددا من سني الخدمة في مقابل الزواج من بنت كاهن مدين على النحو المذكور في الآية (٢٨): {قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَجَّجَ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ* قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ قَضَيْتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ* فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا} ٣.

فما المراد من ذلك الأجل، هل قضى موسى ثماني سنين، أو قضى الأجل الأوفى؟.

لم يكن هذا سواء على التطلع العلمي عند علماء الكتاب الإسلاميين، وطبيعي أن ابن عباس لا بد أن يجد حلا، فهو يعلم كل شيء.ع.

وقد حكى أيضا عن سعيد بن جبير أنه قال: جاءني يهودي بالكوفة وأنا أتجهز للحج فقال: اني أراك رجلا تتبع العلم، فأخبرني أي الأجلين

١ - يقصد أن القصة الواردة في قوله تعالى: {قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَجَّجَ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ} لم ترد في كتابهم المقدس عندهم، وذلك أن القصة الواردة في سفر الخروج (٢: ١٥ - ٢٢) ذكرت قصة سقاية موسى عليه السلام لبنات كاهن مديان السبعة بعد أن أتى الرعاة وطردهم وفيها ما نصه: "وقبل موسى أن يقيم مع الرجل الذي زوجه من ابنته صفورة"، وفي ترجمة أخرى عندهم: "فارتضى موسى أن يسكن مع الرجل فأعطى موسى صفورة ابنته"، وليس فيها ذكر للصداق بأجرة الخدمة عندهم (ينظر: ثم شتان، دراسة منهجية في مقارنة الأديان، للأستاذ الدكتور/ محمود عبدالرزاق الرضواني ص ٢٩٧).

٢ - يقصد المشابهة بين قصة زواج موسى عليه السلام وصداق زوجته بالعمل عند أبيها ثماني حجج أو عشرا، وقصة زواج يعقوب عليه السلام من ابنتي خاله لابان، وصداق زوجته الأولى بخدمة خاله سبع سنوات، ثم بخدمته سبع سنوات أخرى ليتزوج أختها (ينظر: قصص الأنبياء لابن كثير ص ٢٠٦)، وليس ثمة امتزاج بينهما.

٣ - سورة القصص الآيات (٢٧ : ٢٩).

قضى موسى؟ قلت: لا أعلم، وأنا قادم على حبر العرب (يعني ابن عباس) فسأله عن ذلك، فلما قدمت مكة سألت ابن عباس عن ذلك وأخبرته بقول اليهودي، فقال ابن عباس: قضى أكثرهما وأطيبهما، إن النبي إذا وعد لم يخلف^١، قال سعيد: فقدمت العراق فلقيت اليهودي فأخبرته فقال: صدق، وهكذا أنزل أيضا على موسى^٢.

الرد:-

هذا الزعم مليء بالاختلاقات والمغالطات.

فقوله: "واختلافهم إلى هذا المفسر القديم لم يعرض دائما في أسلوب مدرسي جاف، بل أحيانا في مظهر مسرحي زاخر بالحياة" تشبيه لطريقة ابن عباس رضي الله عنهما في تعليم الدين بطريقة القساوسة في الوعظ، وهو بريء من ذلك رضي الله عنه، وما ذكره جولدتسيهر مؤيدا به هذا الزعم بعيد كل البعد عما ذكره حيث قال: "روي مثلا أن مستمعيه غمرتهم نشوة من السرور إذ فسر الآية (٢٣) من سورة النور، حتى وثب بعضهم فقبل رأس الإمام الحكيم"، وقد تبين من تخريج الرواية أنها ليس فيها مظهر مسرحي، فكل ما ورد في الرواية: "فهم بعض القوم أن يقوم إليه فيقبل رأسه من حسن ما فسر سورة النور"، فأين المظهر المسرحي في ذلك؟ إنه مجرد توقير للعالم بتقبيل رأسه، ولا مانع من ذلك شرعا، بل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك.

أخرج الإمام الطبراني بسنده "عن ابن عباس قال: حَدَّثَنِي أُمُّ الْفَضْلِ بِنْتُ الْحَارِثِ قَالَتْ: بَيْنَا أَنَا مَارَةٌ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَجْرِ فَقَالَ: «يَا أُمَّ الْفَضْلِ»، قُلْتُ: لِيَبِّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِنَّكَ حَامِلٌ بِغُلَامٍ»، قَالَتْ: كَيْفَ وَقَدْ تَحَالَفْتُ قُرَيْشٌ لَا تُوَلِدُونَ النِّسَاءَ؟ قَالَ: «هُوَ مَا أَقُولُ لَكَ، فَإِذَا وَضَعْتَهُ فَأَنْتِ بِهِ»، فَلَمَّا وَضَعَتْهُ أَتَتْ بِهِ النَّبِيَّ

١ - أخرجه الإمام البخاري في: كتاب الشهادات/ باب مَنْ أَمَرَ بِإِنجَازِ الوَعْدِ (٢/٩٥٣) ح (٢٥٣٨).

٢ - مذاهب التفسير الإسلامي ص (٩١ : ٩٣).

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَمَّاهُ عَبْدَ اللهِ، وَأَلْبَاهُ مِنْ رِيقِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَذْهَبِي بِهِ، فَتَجِدِيهِ كَيْسًا»، قَالَتْ: فَاتَيْتُ الْعَبَّاسَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَتَلَبَّسْتُ ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ رَجُلًا جَمِيلًا مَدِيدَ الْقَامَةِ، فَلَمَّا رَأَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ إِلَيْهِ فَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، ثُمَّ أَقْعَدَهُ عَنْ يَمِينِهِ ثُمَّ قَالَ: «هَذَا عَمِّي، فَمَنْ شَاءَ فَلْيُبَايِعْهُ»، قَالَ الْعَبَّاسُ: بَعْضَ الْقَوْلِ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «وَلِمَ لَا أَقُولُ وَأَنْتَ عَمِّي وَبَقِيَّةُ آبَائِي، وَالْعَمُّ وَالِدٌ»^١.

وأما استدلاله بما ورد في سورة القصص من قصة موسى عليه السلام: فإن كان يقصد ما اشتملت عليه من كونها تنبض بالحياة، وهو ما أسماه "المظهر المسرحي الزاخر بالحياة"، فلا يعد ذلك عيبا، وإنما هو من مميزات القصص القرآني، وهل المظهر المسرحي الزاخر بالحياة - على حد تعبيره - يعد عيبا؟ إنه يستقر في أذهان المتعلمين استقرارا منقطع النظير، بل إنه من أساليب العرض في كثير من القصص القرآني.

وأما قوله: "امتزجت قصة هرب موسى إلى مدين، ومجرى حياته في بيت كاهنها، بقصة أهل الكتاب عن يعقوب ولبن" فقد تبين من خلال البحث - كما ذكرت في الحاشية - أنه ليس هناك امتزاج بينهما، وإنما هو تشابه بين القصتين في الاتفاق على أداء المهر. وقوله: "لم يكن هذا سواء على التطلع العلمي عند علماء الكتاب الإسلاميين، وطبيعي أن ابن عباس لا بد أن يجد حلا، فهو يعلم كل شيء".

قلت (الباحثة): من الاختلاقات قوله: "أن ابن عباس لا بد أن يجد حلا، فهو يعلم كل شيء" فمن الذي زعم هذا الزعم من علماء الكتاب

١ - المعجم الكبير (٢٣٥/١٠) ح (١٠٥٨٠)، قال الهيتمي في "مجمع الزوائد": كتاب المناقب/ باب مناقب عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (٤٤٨/٩) ح (١٥٥١٤): "رواه الطبراني وإسناده حسن".

الإسلاميين؟ فلم يرد حتى عن آحادهم أنه زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم كل شيء، فكيف يوصف بذلك ابن عباس؟! وقد ناقض جولدتسيهر نفسه في نهاية الرواية التي ذكرها فقال: "قال سعيد: فقدمت العراق فلقيت اليهودي فأخبرته فقال: صدق، وهكذا أنزل أيضا على موسى". مما يؤكد أن ابن عباس رضي الله عنهما إنما قال ذلك عن علم وبصيرة.

المبحث السادس

الزعم بظهوره رضي الله عنه كمنبيء بأخبار الغيب، وأحيانا كأنه مظهر إلهي،
وتفنيذ ذلك والرد عليه

يقول جولدتسيهر:

"وفي كل مشكلات التفسير، يبدو ابن عباس كأنه منبيء بأخبار
الغيب، وأحيانا كأنه مظهر إلهي.

وقد وقف المؤمنون حيارى بإزاء الآية (٢٦٦) من سورة البقرة: {أَيُّودٌ
أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ
فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضُعْفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ
فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ}.

فسأل عمر كل الناس عن معنى هذه الآية الغامضة، ولم يجد أحدا
يستطيع أن يعطيه جوابا مقنعا (وفي رواية أخرى فقالوا: الله أعلم،
فغضب عمر فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم)، فقال ابن عباس - الذي
كان خلفه واقفا في تواضع - : "في نفسي منها شيء يا أمير
المؤمنين"، فقربه عمر إليه وقال: "قل يا ابن أخي ولا تحقر نفسك"،
فقال ابن عباس: "هذا مثل ضربه الله فقال: أيود أحدكم أن يعمل عمره
بعمل أهل الخير والسعادة، حتى إذا كان أحوج ما يكون إلى أن يختم
بخير، حين فنى عمره، واقترب أجله، ختم ذلك بعمل من أعمال أهل
الشقاء فأفسده كله، فحرقه أحوج ما يكون إليه؟

على هذا النحو كانت الرغبة في تقديم ابن عباس إذا أريد ذكر تفسير
جدير أن يوثق به لكلمة أو جملة من القرآن مشكوك في معناها أو
كثيرة الاحتمالات.

الرد :-

يمكن الرد على هذا الزعم من وجهين :-

الأول: طلب عبد الله بن عباس رضي الله عنهما العلم مبكرا - في
حادثة سنه -، واجتهد في ذلك حتى وصل إلى مكانة لم يبلغها أقرانه،

ومما رفعه إلى تلك المكانة اجتهاده في طلب العلم من جل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، وكان في فترة عمرية من أهم فترات التحمل حيث قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمره بضع عشرة سنة^١.

والوجه الثاني: بتتبع وسبر كلام أهل العلم في مبحث حكم قول الصحابي ومنزلته ومرتبته يمكننا أن نخلص إلى القول بأن الأصل في كلام الصحابي أنه يدور بين خمسة أوجه:-

الوجه الأول: أن يكون كلامه منقولاً بنصه ولفظه عن النبي صلى الله عليه وسلم، ويكون الكلام بهذا له صفة النبوة، والثاني: أن يكون كلامه في أمر غيبي، أو ما لا اجتهاد للعقل فيه، أو في أسباب نزول، فهذا له حكم الرفع بالجملة ابتداءً، ويستثنى من ذلك مواضع بعينها وضع العلماء لها ضوابط وقواعد وشروط، الوجه الثالث: ما اجتهد فيه الصحابي تفسيراً أو فقهاً واستنباطاً، وجاء في معرض الموافقة، فإنه إما أن يكون محل إجماع وجب الوقوف عنده والتسليم له، وإما أن يكون محل قبول عند سائر الأصحاب، فهذا له حكم التقديم والقبول في الجملة، وثالث ذلك: أن يكون اجتهاداً منفرداً ولم يعارض بقول صحابي آخر فهو مقدم لكنه غير ملزم بالضرورة، الوجه الرابع: ما اجتهد فيه الصحابي تفسيراً أو فقهاً واستنباطاً، وجاء في معرض الاختلاف أو الانفراد المطلق وعورض بغيره من أقوال الصحابة فمثله يوازن بينه وبين أقوال أقرانه من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، الوجه الخامس: ما جاء عن الصحابي في معرض نقل عن أهل الكتاب أو أسفار الأمم والحضارات السابقة فهذا له حكم الإسرائيليات والتي تدور على ثلاثة أقسام منصوطة معروفة محكمة^٢.

١ - سبق الحديث عن ذلك بالتفصيل في ترجمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وفي الرد على الزعم الأول في المبحث الأول من الفصل الثاني.
٢ - ينظر: التفسير والمفسرون (١/٧١، ٧٢)، وقد سبق الحديث عنها في المبحث الثاني من الفصل الثاني.

وعليه فكلام ابن عباس رضي الله عنه كونه صحابيا لا يخرج عن هذه الخمسة، وما جاء من أقواله مما يندرج تحت الوجه الأول فلا غرو أن يصطبغ بصبغة الوحي التي عبر عنها المستشرق بقوله: "كأنه منبيء بأخبار الغيب، وأحيانا كأنه مظهر إلهي"، وما جاء مندرجا تحت الوجه الثاني فإنما هو منسوب لإجماع أمة منزه عن الضلالة، أو اتفاق بينهم مظنة الهداية، وما جاء تحت الوجه الثالث فمن في منزلة الصحابي الذي عاين الرسول صلى الله عليه وسلم وشاهد التنزيل وعاش نزول الوحي ليفسر القرآن ويفصل الأحكام، وأما ما جاء تحت الوجه الرابع فإن جماهير الأمة لا ترى غضاضة في تقديم بعض أقوال الصحابة على بعض بعلم وأدب، وآخر هذه الوجوه الخمسة قد جاء الحديث مفصلا في الرد على الزعم الثاني بما يعني عن الإعادة هنا. وبهذا يتبين اهتراء هذا المزعم الواهي، وانحلال عرى هذا المطعن، على أن تعبير جولدتسيهر ينم عن سوء فهم، فإن أحدا من المسلمين لا يقدر كلام بشر مجرد حتى يكون له مظهر التقديس الإلهي وبهاء التنزيل الرباني.

المبحث السابع

الزعم بكون أسانيد التفسير المنسوبة إليه رضي الله عنه مطعوناً فيها، وتفنيده ذلك والرد عليه

يقول جولدتسيهر:

"وعند من اعتادوا ممارسة هذا التفسير لم يعد هناك منذ زمن طويل مجال للشك في أنه لا يكاد يرجع شيء، أو لا يرجع على الحقيقة إلا جد قليل، إلى ابن عباس مما أحاطه العلماء المتأخرون بهالة من اسمه.

وعلم النقد الإسلامي نفسه وضع فروقا بين مراتب صحة الأسانيد الكثيرة التفرع التي تنتهي إلى ابن عباس، وقد سميت إحدى سلاسل الرواية الرجعة إليه: سلسلة الكذب، مما يدل على أن النقد الإسلامي أيضا لم ينكر افتراض أن هناك من حاول وضع محصول متأخر في قالب سليم، مزودا ذلك بحجية خيرة ابن عباس التي لا ينازع فيها أحد، ولكن الاتجاه ازداد من ناحية أخرى أيضا إلى إشاعة تراجم حافلة بالأساطير عن ثقة أوائل الرواة لمذهب ابن عباس الذين يسندون إليه عن طريق مباشر، فتدلى هذه التراجم بأخبار عن الأمانة والإحاطة اللتين لا ريب فيهما عند هؤلاء الناس، وتعرض ما علمه ابن عباس في ضوء مناسب بقدر الإمكان، فيروي أن مجاهدا (المتوفى: ١٠٣هـ، ٧٢١م) عرض المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته، يوقفه عند كل آية منه ويسأله عنها ١، وأن عكرمة مولى ابن عباس (المتوفى: ١٠٥هـ، ٧٢٤م) صار عالما ممتازا على وجه الخصوص بمذهبه (أعلم الناس بالتفسير)؛ لأن ابن عباس كان يضع في رجله الكبل ولا يفك قيده حتى يتم أخذ تفسيره ٢، وهذه سمة من

١ - أخرجه الدارمي في: كتاب الطهارة/ باب إتيان النساء في أدبارهن (١/٢٧٣) ح (١١٢٠) وقال حسين سليم أسد: إسناده صحيح.

٢ - أخرجه البخاري معلقا في: كتاب الخصومات/ باب التوثق ممن تُخشى معرته (٢/٨٥٢) قال: "وقيد ابن عباس عكرمة على تعليم القرآن والسنة

المبالغة كثيرا ما تذكر في سبيل الوسم بالمشاورة على التلقي والدرس، ومع ذلك يبدو أن هذا الرجل الذي كان موضع ثقة ابن عباس - كما ظن ذلك حتى بعض من لا يميلون إلى التشكك من المسلمين - قد أساء استغلال علاقته بابن عباس، فنشر باسمه ما لم يسمعه منه أصلا، حتى إن سعيد بن المسيب كان يضربه مثلا في تحذير مولى له، ولذلك عاقبه علي ابن سيده عقابا مهينا.

ومن الأخبار ذات الطابع المميز لمقدار الوزن الذي كان يلقبه الجمهور العادي في ذلك العهد(في حكومة هشام المرواني) لحماية الرواية المقدسة(السنة)، إلى جانب ما كان يديه ذلك الجمهور من الإجلال لمن ليس أقل من شاعر شعبي صالح، ما روي من أنه عند دفن عكرمة السالف الذكر لم يتكامل من الرجال عدد يكفي حتى لحمل جنازته، على حين ظهر القرشيون في جمع كبير لتشييع جنازة "كثير" الشاعر في نفس اليوم، حقا كان ملحوظا في ذلك باعث تحقير المولى حتى بعد وفاته، بإزاء تشریف العربي الأصيل الحرية، وليس صحيحا فيما يبدو أن سبب الامتناع عن تشييع جنازة عكرمة يرجع إلى أنه كان يدين بمذهب الخوارج، وأنه من أجل ذلك عاجلته منيته في بيت صديق اختفى عنده، في أثناء مطاردة الحكومة إياه.

الرد:-

قوله: "وعند من اعتادوا ممارسة هذا التفسير لم يعد هناك منذ زمن طويل مجال للشك في أنه لا يكاد يرجع شيء، أو لا يرجع على الحقيقة إلا جد قليل، إلى ابن عباس مما أحاطه العلماء المتأخرون بهالة من اسمه، وعلم النقد الإسلامي نفسه وضع فروقا بين مراتب

وَأَفْرَائِضٍ"، ووصله ابن حجر في "تغليق التعليق على صحيح البخاري" (٣/٣٢٥ ، ٣٢٦)، وأخرجه الدارمي في: المقدمة/ باب البلاغ عن رسول الله صلى الله عليه و سلم وتعليم السنن (١/١٤٧) ح(٥٥٣) بلفظ: "عن عكرمة قال: كان ابن عباس يضع في رجلي الكبل ويعلمني القرآن والسنن"، وقال حسين سليم أسد: إسناداه صحيح.

صحة الأسانيد الكثيرة التفرع التي تنتهي إلى ابن عباس، وقد سميت إحدى سلاسل الرواية الراجعة إليه: سلسلة الكذب، مما يدل على أن النقد الإسلامي أيضا لم ينكر افتراض أن هناك من حاول وضع محصول متأخر في قالب سليم، مزودا ذلك بحجية خبرة ابن عباس التي لا ينزع فيها أحد" سبق الحديث عنه في المبحث الأول.

والمتمعن في هذا الكلام يدرك مدى مغالطة جولدتسيهر لنفسه ومناقضته لكلامه، حيث أقر بأن علم النقد الإسلامي وضع قواعد لمعرفة صحة الأسانيد، ولكنه جعل هذه الميزة وسيلة للطعن فيما هو صحيح، فزعم أن هناك من استغل منزلة ابن عباس رضي الله عنهما ومكانته في التفسير "إلى إشاعة تراجم حافلة بالأساطير عن ثقة أوائل الرواة لمذهب ابن عباس الذين يسندون إليه عن طريق مباشر، فتدلى هذه التراجم بأخبار عن الأمانة والإحاطة اللتين لا ريب فيهما عند هؤلاء الناس، وتعرض ما علمه ابن عباس في ضوء مناسب بقدر الإمكان".

وهذا مبالغة في توهين أسانيد التفسير المنسوبة إلى ابن عباس رضي الله عنهما دون النظر في صحة الروايات الواردة في ذلك أو ضعفها، فقد تبين من خلال تخريج الروايات التي استدلت بها ووصفها بكونها حافلة بالأساطير أنها صحيحة^١، ويمكن القول: أن مثل هذا المستشرق لا يدرك مدى حرص العلماء على تنقية الروايات الصحيحة من الضعيفة، ولا يعرف كيفية الحكم على الرواية بالصحة أو بالضعف.

١ - وهي قوله: "فيروى أن مجاهدا (المتوفى: ١٠٣هـ، ٧٢١م) عرض المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته، يوقفه عند كل آية منه ويسأله عنها، وأن عكرمة مولى ابن عباس (المتوفى: ١٠٥هـ، ٧٢٤م) صار عالما ممتازا على وجه الخصوص بمذهبه (أعلم الناس بالتفسير)، لأن ابن عباس كان يضع في رجله الكبل ولا يفك قيده حتى يتم أخذ تفسيره".

وأما قوله: "أن عكرمة مولى ابن عباس (المتوفى: ١٠٥هـ، ٧٢٤م) صار عالما ممتازا على وجه الخصوص بمذهبه (أعلم الناس بالفسير)، لأن ابن عباس كان يضع في رجله الكبل ولا يفك قيده حتى يتم أخذ تفسيره"، وهذه سمة من المبالغة كثيرا ما تذكر في سبيل الوسم بالمتأثرة على التلقي والدرس".

قلت: إن تقييد الرجل لمولاه من أجل أداء عمل ليس مذموما، بل إنه يصير محمودا إذا كان لمصلحة تعود على المقيد، وما فعله ابن عباس رضي الله عنهما مع عكرمة من تقييده من أجل العلم فإنما هو كما يفعل المعلم مع تلميذه، فإن التلميذ قد يضيع وقته، ويغفل، فإذا حبسه المعلم من أجل مصلحته فلا بأس، ولاسيما إذا صار حاله هكذا، فقد رفع العلم شأن عكرمة مولى ابن عباس حتى وصل الحال به إلى أن الأكابر كانوا يكفون عن الفتيا في حضرته، وقد شهد القاضي والداني لعكرمة بتلك المكانة العلمية.

قال الذهبي: "قال عمرو بن دينار: سمعت أبا الشعثاء يقول: هذا عكرمة مولى بن عباس، هذا أعلم الناس وروى مغيرة عن سعيد بن جبير، وقيل له: تعلم أحدا أعلم منك قال: نعم عكرمة، وعن الشعبي قال: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة، قال أيوب: قال عكرمة: إني لأخرج إلى السوق فأسمع الرجل يتكلم بالكلمة فيفتح لي خمسون بابا من العلم، ... قال قرّة بن خالد: كان الحسن إذا قدم عكرمة بالبصرة أمسك عن التفسير والفتيا ما دام عكرمة بالبصرة"^٢.

"وسئل أبو حاتم عن عكرمة وسعيد بن جبير أيهما أعلم بالفسير؟ فقال: أصحاب ابن عباس عيال على عكرمة"^٣.

وأما قوله: "ومع ذلك يبدو أن هذا الرجل الذي كان موضع ثقة ابن عباس - كما ظن ذلك حتى بعض من لا يميلون إلى التشكك من

١ - صحيح، سبق تخريجه في أول المبحث.

٢ - تذكرة الحفاظ (٧٤/١) باختصار.

٣ - الجرح والتعديل (٨/٧).

المسلمين - قد أساء استغلال علاقته بابن عباس، فنشر باسمه ما لم يسمعه منه أصلاً، حتى إن سعيد بن المسيب كان يضربه مثلاً في تحذير مولى له، ولذلك عاقبه علي ابن سيده عقاباً مهيناً.

قلت: هذا أيضاً مبالغة في توهين أسانيد التفسير المنسوبة إلى ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا الكلام فيه مغالطة؛ فإن كلام سعيد بن المسيب إنما هو من قبيل كلام الأقران، ومما يؤكد ذلك: ما نقله ابن عبد البر:-

"قال المروزي: وحدثنا محمد بن يحيى، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: حدثنا معمر، عن أيوب، قال: سألت رجل سعيد بن المسيب عن رجل نذر نذراً لا ينبغي له من المعاصي فأمره أن يوفي له بنذره، فسأل الرجل عكرمة فأمره أن يكفر عن يمينه ولا يوفي بنذره، فرجع الرجل إلى سعيد بن المسيب فأخبره بقول عكرمة فقال ابن المسيب: لينتهين عكرمة أو ليوجعن الأمراء ظهره، فرجع الرجل إلى عكرمة فأخبره فقال عكرمة: أما إذا بلغتني فبلغه أما هو فقد ضربت الأمراء ظهره، وأوقفوه في تَبَّانٍ^١ مِنْ شَعْرٍ، وسله عن نذرك: أطاعة هو الله أم معصية؟ فإن قال: هو طاعة، فقد كذب على الله؛ لأنه لا تكون معصية الله طاعة، وإن قال: هو معصية، فقد أمرك بمعصية الله^٢.

- قال المروزي: فلهذا كان بين سعيد بن المسيب وبين عكرمة ما كان، حتى قال فيه ما حكى عنه أنه قال لغلامه برد: لا تكذب علي كما كذب عكرمة علي ابن عباس^٣.

قلت: ولو ثبت ذلك عن سعيد بن المسيب فإنما هو في معرض طلب التثبت الذي قلما يجتمع مع الإكثار وإن كان لا يتنافى معه، فجعل الأئمة المكثرين ثقات أثبات، ولو فرض ثبوت مثل هذا الكلام في غير

١ - التَّبَّانُ بالضم والتشديد: سَراويلٌ صغيرٌ مقدارُ شبرٍ يستر العورة المغلظة فقط يكون للملاحين (لسان العرب ٧١/١٣).

٢ - أخرجه عبد الرزاق في "المصنف" (٤٣٨/٨) ح (١٥٨٢٦).

٣ - جامع بيان العلم وفضله (٣٠٣/٢ ، ٣٠٤).

السياق الذي ذكرت لكان من كلام الأقران بعضهم على بعض وهو لا يعتد به، وهذا الكلام معروف مشهور عند علماء الجرح والتعديل^١.

وسياق الرواية كما ذكرها الحافظ في تهذيب التهذيب: عن إسحاق بن عيسى الطباع سألت مالك بن أنس: أبلغك أن ابن عمر قال لنافع: لا تكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباس؟ قال: لا، ولكن بلغني أن سعيد بن المسيب قال ذلك لبرد موله^٢.

وأما قوله: "ولذلك عاقبه علي ابن سيده عقابا مهينا".

قلت: الرواية إنما هي من رواية يزيد بن أبي زياد وهو لا يحتج بكلامه.

قال الحافظ ابن حجر: "وقال جرير بن عبد الحميد عن يزيد بن أبي زياد: دخلت على علي بن عبد الله بن عباس وعكرمة مقيد على باب الحش، قال: قلت: ما لهذا؟ قال: إنه يكذب علي أبي"^٣، ثم قال:-

"ذكره ابن حبان في الثقات، وقال: كان من علماء زمانه بالفقه والقرآن، وكان جابر بن زيد يقول: عكرمة من أعلم الناس، ولا يجب لمن شم رائحة العلم أن يعرج على قول يزيد بن أبي زياد يعني المتقدم؛ لأن يزيد بن أبي زياد ليس ممن يحتج بنقل مثله؛ لأن من المحال أن يجرح العدل بكلام المجروح، قال: وعكرمة حمل عنه أهل العلم الحديث والفقه في الأقاليم كلها، وما أعلم أحدا ذمه بشيء إلا بدعابة كانت فيه، وقال ابن منده في صحيحه: أما حال عكرمة في نفسه فقد عدله أمة من نبلاء التابعين فمن بعدهم وحدثوا عنه واحتجوا بمفاريده في الصفات والسنن والأحكام، روى عنه زهاء

١ - قال الذهبي في "ميزان الاعتدال" (١/١١١): "كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبا به، لا سيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد، ما ينجو منه إلا من عصم الله، وما علمت أن عصرا من الأعصار سلم أهله من ذلك، سوى الأنبياء والصديقين، ولو شئت لسردت من ذلك كراريس".

٢ - تهذيب التهذيب (٧/٢٣٧، ٢٣٨).

٣ - تهذيب التهذيب (٧/٢٣٧، ٢٣٨).

ثلاثمائة رجل من البلدان منهم زيادة على سبعين رجلا من خيار التابعين ورفعاتهم، وهذه منزلة لا تكاد توجد لكثير أحد من التابعين، على أن من جرحه من الأئمة لم يمسه من الرواية عنه، ولم يستغنوا عن حديثه، وكان يتلقى حديثه بالقبول، ويحتج به قرنا بعد قرن، وإماما بعد إمام، إلى وقت الأئمة الأربعة الذين أخرجوا الصحيح وميزوا ثابتة من سقيمهم، وخطأه من صوابه، وأخرجوا روايته، وهم: البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، فأجمعوا على إخراج حديثه واحتجوا به، على أن مسلما كان أسوأهم رأيا فيه وقد أخرج عنه مقرونا وعدله بعدما جرحه، وقال أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي: قد أجمع عامة أهل العلم بالحديث على الاحتجاج بحديث عكرمة، واتفق على ذلك رؤساء أهل العلم بالحديث من أهل عصرنا، منهم: أحمد بن حنبل، وابن راهويه، ويحيى بن معين، وأبو ثور، ولقد سألت إسحاق بن راهويه عن الاحتجاج بحديثه، فقال: عكرمة عندنا إمام الدنيا، تعجب من سؤالي إياه، وحدثنا غير واحد أنهم شهدوا يحيى بن معين وسأله بعض الناس عن الاحتجاج بعكرمة فأظهر التعجب، قال أبو عبد الله: وعكرمة قد ثبتت عدالته بصحبة بن عباس وملازمته إياه، وبأن غير واحد من العلماء قد رووا عنه وعدلوه، قال: وكل رجل ثبتت عدالته لم يقبل فيه تجريح أحد حتى يبين ذلك عليه بأمر لا يحتمل غير جرحه^١.

وأما استدلاله على الطعن في عكرمة بقلة المشيعين لجنائزته، ومقارنته له بكثرة المشيعين لجنائز كثير الشعاع، فنقول:- ليست كثرة المشيعين علامة على الصلاح، ولا قلتهم أمانة على الفجور، أو فساد المذهب.

وليس أدل على ذلك من جنائز الصحابي الجليل أبي نر الغفاري الذي مات وحيدا، وقد بشره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك.

١ - تهذيب التهذيب (٧/٢٤٠ ، ٢٤١)، وينظر: الثقات لابن حبان (٥/٢٢٩).

أَخْرَجَ الْحَاكِمُ بِسَنَدِهِ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى تَبُوكَ جَعَلَ لَا يَزَالُ يَتَخَلَّفُ الرَّجُلُ فَيَقُولُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَخَلَّفَ فُلَانٌ، فَيَقُولُ: دَعُوهُ، إِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللَّهُ بِكُمْ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاكُمْ اللَّهُ مِنْهُ، حَتَّى قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَخَلَّفَ أَبُو ذَرٍّ، وَأَبْطَأَ بِهِ بَعِيرُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعُوهُ، إِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللَّهُ بِكُمْ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاكُمْ اللَّهُ مِنْهُ، فَتَلَوَّمَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى بَعِيرِهِ فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَيْهِ أَخَذَ مَتَاعَهُ فَجَعَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ، فَخَرَجَ يَتَّبِعُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شِئَا، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ مَنَازِلِهِ، وَنَظَرَ نَاطِرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا رَجُلٌ يَمْشِي عَلَى الطَّرِيقِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُنْ أَبَا ذَرٍّ، فَلَمَّا تَأَمَّلَهُ الْقَوْمُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: هُوَ وَاللَّهِ أَبُو ذَرٍّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رَحِمَ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ يَمْشِي وَحَدَهُ، وَيَمُوتُ وَحَدَهُ، وَيُبْعَثُ وَحَدَهُ، فَضَرَبَ الدَّهْرُ مِنْ ضَرْبَتِهِ، وَسَيَّرَ أَبُو ذَرٍّ إِلَى الرَّيْذَةِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَوْصَى امْرَأَتَهُ وَغُلَامَهُ إِذَا مِتُّ فَاعْسِلَانِي وَكفَّنَانِي، ثُمَّ احْمَلَانِي فَضَعَانِي عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ، فَأَوَّلُ رَكْبٍ يَمُرُونَ بِكُمْ فَقُولُوا: هَذَا أَبُو ذَرٍّ، فَلَمَّا مَاتَ فَعَلُوا بِهِ كَذَلِكَ فَاطَّلَعَ رَكْبٌ، فَمَا عَلِمُوا بِهِ حَتَّى كَادَتْ رُكَّابُهُمْ تَطَأُ سَرِيرَهُ، فَإِذَا ابْنُ مَسْعُودٍ فِي رَهْطٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَقَالُوا: مَا هَذَا؟ فَقِيلَ: جِنَازَةُ أَبِي ذَرٍّ، فَاسْتَهَلَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِيكِي، فَقَالَ: صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ، يَمْشِي وَحَدَهُ، وَيَمُوتُ وَحَدَهُ، وَيُبْعَثُ وَحَدَهُ، فَتَنَزَلَ فَوَلِيَهُ بِنَفْسِهِ حَتَّى أَجَنَّهُ، فَلَمَّا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ ذُكِرَ لِعُثْمَانَ قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ وَمَا وَلِيَ مِنْهُ^١.

قلت: بل إن كثرة الأتباع حال الحياة أو قلتهم ليست بدليل قطعي كذلك على الصلاح، فإن الكثرة في القرآن كثيرا ما جاءت في معرض الذم،

١ - المستدرک علی الصحیحین (٥٢/٣) ح (٤٣٧٣)، قال الحاکم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، وقال الذهبي: "فيه إرسال".

بل والضلال، كقوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾^١، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾^٢، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾^٣، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيَّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ»^٤.

فهذا في حال من تبعه القلة لو سلمنا بذلك فرضا، فكيف وقد نقل عن عكرمة العلم أساطين العلوم وفحول أهل العلم من الأكابر الأكارم، ولا زال الناس ينقلون عنه العلم ويسلمون بالأسانيد الصحيحة المنسوبة إليه، سواء من قوله أو من نقله عن ابن عباس رضي الله عنهما يشهدون له بذلك على أمرين: تقدمه في علم التفسير، ورسوخ قدمه في نقولاته عن ابن عباس رضي الله عنها.

وأما قوله: "وليس صحيحا فيما يبدو أن سبب الامتناع عن تشييع جناية عكرمة يرجع إلى أنه كان يدين بمذهب الخوارج، وأنه من أجل

١ - سورة الفرقان الآية رقم (٤٤).

٢ - سورة يوسف الآية رقم (١٠٣).

٣ - سورة المائدة جزء من الآية رقم (٤٩).

٤ - جزء من حديث متفق عليه، أخرجه الإمامان: البخاري في: كتاب الطب/ باب مَنْ لَمْ يَزُقْ (٢١٧٠/٥) ح (٥٤٢٠)، ومسلم في: كتاب الإيمان/ باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (١٩٩/١) ح (٢٢٠)، وتمام الحديث: «وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأَفْقَ فَرَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ أُمَّتِي، فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انظُرْ، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأَفْقَ فَقِيلَ لِي: انظُرْ هَكَذَا وَهَكَذَا، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأَفْقَ، فَقِيلَ: هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ، وَمَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ»، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَلَمْ يَبَيِّنْ لَهُمْ، فَتَدَاكَرَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالُوا: أَمَا نَحْنُ قَوْلِدْنَا فِي الشَّرِّكَ، وَلَكِنَّا آمَنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَكِن هَؤُلَاءِ هُمْ أَبْنَاؤُنَا، فَبَلَغَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: «هُمْ الَّذِينَ لَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَكْتُمُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»، فَقَامَ عَكَاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ، فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، فَقَامَ آخِرُ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا؟ فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عَكَاشَةُ».

ذلك عاجلته منيته في بيت صديق اختفى عنده، في أثناء مطاردة الحكومة إياه:-

قال الحافظ ابن حجر: "قال مصعب الزبيري: كان يرى رأي الخوارج فطلبه بعض ولاة المدينة فتغيب عند داود بن الحصين حتى مات عنده"^١.

قلت: ما ذكره جولدتسيهر من "أنه كان يدين بمذهب الخوارج": كلام فيه مغالطة، وكأن ثبوت كونه من الخوارج أمر يقيني، وقد برأه من ذلك الحافظ ابن حجر، قال في "التقريب": "عكرمة أبو عبد الله مولى ابن عباس أصله بربري ثقة ثبت عالم بالتفسير، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر، ولا تثبت عنه بدعة"^٢.

وقال في "التهذيب": "قال جعفر الطيالسي عن ابن معين: إذا رأيت إنسانا يقع في عكرمة وفي حماد بن سلمة فاتهمه على الإسلام، وقال يعقوب بن أبي شيبة عن بن المديني: لم يكن في موالي ابن عباس أغزر من عكرمة، كان عكرمة من أهل العلم، وقال العجلي: مكي تابعي ثقة بريء مما يرميه الناس من الحرورية، وقال البخاري: ليس أحد من أصحابنا إلا وهو يحتج بعكرمة، وقال النسائي: ثقة"^٣.

وأما الزعم بأنهم شهدوا جنازة كثير، وتركوا جنازة عكرمة فلم يثبت كما قال الحافظ ابن حجر: "وأما ما تقدم من أنهم لم يشهدوا جنازته فعمل ذلك إن ثبت كان بسبب تطلب الأمير له وتغيبه عنه حتى مات - كما تقدم -، والذي نقل: أنهم شهدوا جنازة كثير وتركوا عكرمة لم يثبت؛ لأن ناقله لم يسم"^٤.

وخلاصة القول في توثيق عكرمة وتبرئته مما نسب إليه ما ذكره الحافظ ابن حجر في "فتح الباري"، قال رحمه الله تعالى: "عكرمة أبو

١ - تهذيب التهذيب (٧/٢٤٠).

٢ - تقريب التهذيب ص (٣٩٧).

٣ - تهذيب التهذيب (٧/٢٣٩).

٤ - تهذيب التهذيب (٧/٢٤١).

عبد الله مولى ابن عباس، احتج به البخاري وأصحاب السنن، وتركه مسلم فلم يخرج له سوى حديث واحد في الحج مقرونا بسعيد بن جبير، وإنما تركه مسلم لكلام مالك فيه، وقد تعقب جماعة من الأئمة ذلك وصنفوا في الذب عن عكرمة منهم: أبو جعفر بن جرير الطبري، ومحمد بن نصر المروزي، وأبو عبد الله بن منده، وأبو حاتم بن حبان، وأبو عمر بن عبد البر، وغيرهم^١.

ثم ذكر رحمه الله تعالى أقوال من واهاه وفندها، وخلصتها:-

"أن مدارها على ثلاثة أشياء: رميه بالكذب، والظعن فيه بأنه كان يرى رأي الخوارج، وعلى القدح فيه بأنه كان يقبل جوائز الأمراء، فهذه الأوجه الثلاثة يدور عليها جميع ما طعن به فيه"^٢.

وسوف أكتفي برده عليها إجمالاً، ثم أذكر الرد على ما ورد في هذا الزعم - الذي زعمه جولدتسيهر:-

"أما البدعة: فإن ثبتت عليه فلا تضر حديثه، لأنه لم يكن داعية مع أنها لم تثبت عليه.

وأما قبول الجوائز: فلا يقدح أيضاً إلا عند أهل التشديد، وجمهور أهل العلم على الجواز، كما صنف في ذلك ابن عبد البر.

وأما التكذيب: فسنبين وجوه رده بعد حكاية أقوالهم وأنه لا يلزم من شيء منه قدح في روايته:-

فالوجه الأول فيه أقوال، فأشدها: ما روى عن ابن عمر أنه قال لنافع: لا تكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباس، وكذا ما روي عن سعيد بن المسيب أنه قال ذلك لبرد مولاة، فقد روى ذلك عن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم عن أبيه عن سعيد بن المسيب، وقال إسحاق بن عيسى بن الطباع: سألت مالكا: أبلغك أن ابن عمر قال لنافع: لا تكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباس؟ قال: لا، ولكن بلغني أن سعيد بن المسيب قال ذلك لبرد مولاة.

١ - فتح الباري (١/٢٥٠).

٢ - فتح الباري (١/٢٥٠).

وقال جرير بن عبد الحميد عن يزيد بن أبي زياد: دخلت على علي بن عبد الله بن عباس وعكرمة مقيد عنده فقلت: ما لهذا؟ قال: إنه يكذب على أبي.....، وسنذكر إن شاء الله تعالى بيان ذلك ونصرف وجوهه وأنه لا يلزم عكرمة من شيء منه قدح في حديثه^١.

وقد رد ابن حجر على هذا الزعم من وجهين:-

الأول: أن قول ابن عمر لم يثبت عنه؛ لأنه من رواية أبي خلف الجزار عن يحيى البكاء أنه سمع ابن عمر يقول ذلك، ويحيى البكاء متروك الحديث، قال ابن حبان: ومن المحال أن يجرح العدل بكلام المجروح، وقال ابن جرير: إن ثبت هذا عن ابن عمر فهو محتمل لأوجه كثيرة لا يتعين منه القدح في جميع روايته، فقد يمكن أن يكون أنكر عليه مسألة من المسائل كذبه فيها.

والثاني: قال ابن حبان: أهل الحجاز يطلقون كذب في موضع أخطأ، ذكر هذا في ترجمة برد من كتاب الثقات، ويؤيد ذلك إطلاق عبادة بن الصامت قوله كذب أبو محمد لما أخبر أنه يقول الوتر واجب، فإن أبا محمد لم يقله رواية، وإنما قاله اجتهادا، والمجتهد لا يقال إنه كذب، إنما يقال إنه أخطأ، وذكر بن عبد البر لذلك أمثلة كثيرة.

وأما قول سعيد بن المسيب: فقال ابن جرير: ليس ببعيد أن يكون الذي حكى عنه نظير الذي حكى عن ابن عمر.

ويقوي صحة ما حكاه ابن حبان أنهم يطلقون الكذب في موضع الخطأ: ما ورد عن هؤلاء من الثناء عليه والتعظيم له، فإنه دال على أن طعنهم عليه إنما هو في هذه المواضع المخصوصة.

وأما رواية يزيد بن أبي زياد عن علي بن عبد الله بن عباس في تكذيبه: فقد ردها أبو حاتم بن حبان بضعف يزيد وقال، إن يزيد لا يحتج بنقله، وهو كما قال^٢.

١ - فتح الباري (١/٢٥٠ ، ٤٢٦) باختصار.

٢ - ينظر: فتح الباري (١/٤٢٧).

وأما الطعن فيه برأي الخوارج، فقد ذكر الحافظ ابن حجر من قال بذلك، ومنهم:-

"قال مصعب الزبيري: كان يرى رأي الخوارج، وزعم أن علي بن عبد الله بن عباس كان هو على هذا المذهب، قال مصعب: وطلبه بعض الولاة بسبب ذلك فتغيب عند داود بن الحصين إلى أن مات...، وقال الدراوردي: توفي عكرمة وكثير عزة في يوم واحد فعجب الناس لموتهما واختلاف رأيهما عكرمة يظن به رأي الخوارج يكفر بالذنب وكثير شيعي مؤمن بالرجعة إلى الدنيا".^١

ومن أجل ذلك تكلم فيه الإمام مالك كما سبق من قول الحافظ ابن حجر: "وإنما تركه مسلم لكلام مالك فيه"، وقد برأه من هذا الطعن بقوله بعد ذلك:-
"وأما ذم مالك فقد بين سببه، وأنه لأجل ما رمي به من القول ببدعة الخوارج، وقد جزم بذلك أبو حاتم.

قال ابن أبي حاتم: "سألت أبي عن عكرمة فقال: ثقة، قلت: يحتج بحديثه؟ قال: نعم، إذا روى عنه الثقات، والذي أنكر عليه مالك إنما هو بسبب رأيه"^٢، على أنه لم يثبت عنه من وجه قاطع أنه كان يرى ذلك، وإنما كان يوافق في بعض المسائل فنسبوه إليهم، وقد برأه أحمد والعجلي من ذلك، فقال في كتاب الثقات له: عكرمة مولى بن عباس رضي الله عنهما مكي تابعي ثقة بريء مما يرميه الناس به من الحرورية، وقال ابن جرير: لو كان كل من ادعى عليه مذهب من المذاهب الرديئة ثبت عليه ما ادعى به وسقطت عدالته وبطلت شهادته بذلك للزم ترك أكثر محدثي الأمصار؛ لأنه ما منهم إلا وقد نسبه قوم إلى ما يرغب به عنه.

ثم ذكر الحافظ ثناء العلماء على عكرمة^٣، وقد سبق ذكر بعضها في الرد على هذا الزعم بما يعني عن الإعادة، والله أعلم.

١ - فتح الباري (١/٢٦٦ ، ٤٢٧) باختصار.

٢ - ينظر: الجرح والتعديل (٧/٨).

٣ - ينظر: فتح الباري (١/٢٢٨ : ٤٣٠).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

"الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله"

والصلاة والسلام على خير خلق الله، سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:-

فهذا جهد المقل، والله أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعي به، وكل من طالعه، إنه نعم المولى ونعم النصير، وهو حسبي ونعم الوكيل.

وإذا كانت ثمرة وفائدة كل بحث تكمن فيما نصل إليه من نتائج، فهناك أهم النتائج التي توصلت إليها:-

١- القرآن كتاب الله تعالى، وكلامه الذي ختم به الرسالات، وأنزل فيه البينات، وكشف به ريب الضلالات، أعجز البلغاء عن محاكاته، وأبهر الحكماء بمعجزاته، وإذ كان الأمر كذلك فقد جعله أعداء الدين في معرض الرماية، والتعريض بالجنائية، فتارة يصفونه بالشعر والأمثال، وتارة يسمونه بالإفك والانتحال، وهكذا دأب أهل الزيغ والضلال.

٢- كان للاستشراق النصيب الأوفى من دراسة الإسلام، وإثارة الشبهات حوله، منذ نزول الوحي بالقرآن من أربعة مئة وألف ونيّف، لكن هذه النزعة استوتت على سوق الحنظل المر، في القرن السادس عشر الميلادي عند تحقيق الأمر، فأقام الحملات، وأرسل البعثات، وأتت أموال الكنيس والكنيسة، مفدقة فياضة حثيثة، تدعم كل من درس وبحث، وتقيم كل شبهة للبس، وكان ممن ركب سفين البحث، إيجناس جولدتسيهر اليهودي الألماني مجريّ النسب، فعكف على تراث الإسلام، دراسة وبحثاً، وإثارة للمزاعم التي نتجت عن سوء فهم، وخبث نية، وسوء طوية.

٣- ولما كان التفسير وعلومه عمود خيمة العلوم، ونبع الورد من التأويل والاستنباط وأصل ما تستقيه الفهوم، أولاه المستشرق جولدتسيهر الاهتمام، وأطال النظر في سير أوائله العظام، حتى إذا

استبان عنده أن إمام هذا الفن ابن عباس رضي الله عنهما، عكف على البحث في حياته ورواياته، فنثر في كتابه "مذاهب أهل التفسير" طعوناً ومزاعم، وأقام حولها سياجاً من البحث العلمي، كفانا السلف والمعاصرون مؤنة الرد غير ثلثة، سدها هذا البحث لينجلي بالنور ما استتر من الظلمة.

٤- الاستشراق يدعو أهله من الغرب، ومن استغرب من العرب، لدراسة الإسلام والبحث فيه، وإظهار ما قد يثير الشبهات حوله، لذا وجب على حراس الحدود التبصر بالأصيل، والتربص بالدخيل، لرد الصائل، وردع الجاهل، ومثل هذا يُعد من الحسبة الواجبة.

٥- شبهات الخصوم على تشعبها ترجع لشنشانات قديمة، وتتبع كلها من مغالطات أثيمة، وإن تعددت بذكرها اللغات، وتنوعت لزخرفتها الحروف والأصوات، وكل ما يُثار من شبه في كتب الأسلاف مبسوط ومردود، وله في بطون كتب المتقدمين تفهيمات منذ عقود، فدون الإسلام وأصوله للنيل منه خرط القتاد، فقد أقام له المولى في جذور الحق العماد، إلى يوم التناد.

٦- مدارس التفسير الإسلامي ومذاهبه المعتمدة أصيلة، راسخة نبيلة، يقف على ذروتها أكابر كابن عباس رضي الله عنهما، ومن ورائه صفوة العلماء من المصطفين من الناس، وأسانيدها كالذهب لا تزيد الأيام إلا لمعاناً، متونه المنقولة تبر يتلأل في الأكوان، ودر منشور كالنجوم في سماء الأزمان، فسبحان من أنزل الحق المصون، وتكفل بحفظه فقال: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- الإلتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي(ت: ٩١١هـ)، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة(١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
- ٣- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي(ت: ٧٩٤هـ)، ط/ دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، (١٣٧٦هـ، ١٩٥٧م)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
- ٤- أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها "التبشير، الاستشراق، الاستعمار" دراسة وتحليل وتوجيه(ودراسة منهجية شاملة للغزو الفكري)، للشيخ/ عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميداني الدمشقي(ت: ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م)، ط/ دار القلم - دمشق، الطبعة الثامنة، سنة(١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م).
- ٥- الأدب المفرد، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي(ت: ٢٥٦هـ)، ط/ دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة الثالثة، سنة(١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- ٦- أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، للدكتور/ علي محمد جريشه، محمد شريف الزبيق، ط/ دار الوفاء، الطبعة الثالثة، سنة(١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م).
- ٧- الإستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته، للدكتور/ عبد المنعم محمد حسنين، ط/ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة العاشرة - العدد الثاني، سنة(١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م).
- ٨- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، للدكتور/ محمود حمدي زقزوق، ط/ مطابع الدوحة الحديثة - الطبعة الأولى، سنة(١٤٠٤هـ، ١٩٨٣م).

- ٩- الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، للأستاذ الدكتور/ فالح بن محمد بن فالح الصغير، ط/ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
- ١٠- الإسلام والغرب، للدكتور/ محمود حمدي زقزوق، ط/ مكتبة الشروق الدولية.
- ١١- أضواء على الثقافة الإسلامية، للدكتورة/ نادية شريف العمري، ط/ مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة، سنة (١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م).
- ١٢- الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي دمشقي(ت: ١٣٩٦هـ)، ط/ دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، (٢٠٠٢م).
- ١٣- تاج العروس من جواهر القاموس، لأبي الفيض، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى، الزبيدي(ت: ١٢٠٥هـ)، ط/ دار الهداية، تحقيق: مجموعة من المحققين.
- ١٤- تاريخ التراث العربي "علوم القرآن والحديث، التدوين التاريخي، الفقه، العقائد"، للدكتور/ فؤاد سزكين، ط/ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سنة (١٤١١هـ، ١٩٩١م)، نقله إلى العربية: د/ محمود فهمي حجازي، راجعه: د/ عرفة مصطفى، د/ سعيد عبد الرحيم، أعاد صنع الفهارس: د/ عبد الفتاح محمد الحلو.
- ١٥- تاريخ القرآن، لتيودور نولدكة، ط/ منشورات الجمل.
- ١٦- تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي(ت: ٤٦٣هـ)، ط/ دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م)، تحقيق: د/ بشار عواد معروف.
- ١٧- تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي، لأبي العلام محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، ط/ دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٨- تذكرة الحفاظ، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ط/ دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، سنة (١٤١٩هـ، ١٩٩٨م)، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات.

- ١٩- تغليق التعليق على صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني(ت: ٨٥٢هـ)، ط/ المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان - الأردن، الطبعة الأولى، سنة(١٤٠٥)، تحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القرقي.
- ٢٠- تفسير الشعراوي "الخواطر"، للشيخ/ محمد متولي الشعراوي(ت: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم.
- ٢١- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي(ت: ٧٧٤هـ)، ط/ دار طيبة، الطبعة الثانية(١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة.
- ٢٢- تفسير القرآن العظيم، لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي، ابن أبي حاتم(ت: ٣٢٧هـ)، ط/ مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، سنة(١٤١٩هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب.
- ٢٣- التفسير والمفسرون، للدكتور/ محمد السيد حسين الذهبي(ت: ١٣٩٨هـ)، ط/ مكتبة وهبة، القاهرة.
- ٢٤- تقريب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي(ت: ٨٥٢هـ)، ط/ دار الرشيد - سوريا، الطبعة الأولى(١٤٠٦، ١٩٨٦)، تحقيق: محمد عوامة.
- ٢٥- تهذيب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(ت: ٨٥٢هـ)، ط/ دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى، سنة(١٤٠٤، ١٩٨٤).
- ٢٦- تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، ط/ دار إحياء التراث العربي - بيروت، سنة(٢٠٠١م)، تحقيق: محمد عوض مرعب.
- ٢٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي(ت: ١٣٧٦هـ)، ط/ مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى(١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق.

- ٢٨ - الثقات، لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت: ٣٥٤هـ)، ط/ دار الفكر، الطبعة الأولى، سنة (١٣٩٥، ١٩٧٥)، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد.
- ٢٩ - ثم شتان، دراسة منهجية في مقارنة الأديان، للأستاذ الدكتور/ محمود عبدالرزاق الرضواني، ط/ مكتبة سلسبيل، الطبعة الأولى (١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م).
- ٣٠ - جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، ط/ مؤسسة الريان - دار ابن حزم، الطبعة الأولى، سنة (١٤٢٤، ٢٠٠٣)، دراسة وتحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمري.
- ٣١ - جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، ط/ مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م)، تحقيق: أحمد محمد شاكر.
- ٣٢ - الجرح والتعديل، لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي التميمي، ط/ دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٢٧١، ١٩٥٢).
- ٣٣ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، ط/ دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الرابعة، سنة (١٤٠٥).
- ٣٤ - دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه، للأستاذ الدكتور/ إسحاق بن عبد الله السعدي، ط/ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة الأولى، سنة (١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م).
- ٣٥ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، ط/ دار الفكر - بيروت (١٩٩٣).
- ٣٦ - ديوان ابن مقبل، ط/ وزارة الثقافة والإرشاد بسوريا، دمشق، الطبعة الأولى (١٣٨١هـ)، تحقيق: الدكتور عزة حسن.
- ٣٧ - ديوان عنتر بن شداد، ط/ المكتب الإسلامي - دمشق (١٣٩٠، ١٩٧٠)، تحقيق: محمد سعيد مولوي.

- ٣٨ - سلسلة الأحاديث الصحيحة، للشيخ/ محمد ناصر الدين الألباني، ط/ دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية.
- ٣٩ - سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السُّجِسْتَانِي (ت: ٢٧٥هـ)، ط/ دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى (١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمّد كامل قره بللي.
- ٤٠ - سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، لأبي عيسى، محمد بن عيسى بن سَورَةَ الترمذي (ت: ٢٧٩هـ)، ط/ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة الثانية، سنة (١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض.
- ٤١ - سنن الدارمي، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت: ٢٥٥هـ)، ط/ دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٧هـ)، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي.
- ٤٢ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، ط/ دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الرابعة (١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار.
- ٤٣ - صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر)، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦هـ)، ط/ دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة، تحقيق: د/ مصطفى ديب البغا.
- ٤٤ - صحيح مسلم (الجامع الصحيح)، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، ط/ دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- ٤٥ - الطبقات الكبرى، لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري، ط/ دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٩٦٨م)، تحقيق: إحسان عباس.

- ٤٦ - العقيدة والشريعة في الإسلام، لإجناس جولدتسيهر، ط/ المركز القومي للترجمة، سنة (٢٠١٣)، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد يوسف موسى، علي حسن عبد القادر، عبد العزيز عبد الحق.
- ٤٧ - العُلل ومعرفة الرجال، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، ط/ دار الخاني - الرياض، الطبعة الثانية، سنة (١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م)، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس.
- ٤٨ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، ط/ دار المعرفة - بيروت، سنة (١٣٧٩).
- ٤٩ - فصول في أصول التفسير، للدكتور/ مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، ط/ دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية، (١٤٢٣هـ)، تقديم: د/ محمد بن صالح الفوزان.
- ٥٠ - قصص الأنبياء، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، ط/ دار ابن رجب، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م).
- ٥١ - لسان العرب، لأبي الفضل، محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين، ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، ط/ دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى.
- ٥٢ - المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، للأستاذ الدكتور/ محمد البهي (ت: ١٤٠٢هـ)، ط/ مطبعة الأزهر.
- ٥٣ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيتمي (ت: ٨٠٧هـ)، ط/ دار الفكر، بيروت (١٤١٢هـ).
- ٥٤ - مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ط/ مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، سنة (١٤١٥هـ، ١٩٩٥م)، تحقيق: محمود خاطر.

- ٥٥ - المدخل لدراسة القرآن الكريم، للدكتور/ محمد بن محمد بن سويلم، أبو شُهبة(ت: ١٤٠٣هـ)، ط/ مكتبة السنة - القاهرة، الطبعة الثانية، سنة(١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م).
- ٥٦ - مذاهب التفسير الإسلامي، لإجناس جولدتسيهر، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ترجمة: عبد الحليم النجار، تقديم ودراسة: محمد عوني عبد الرؤوف.
- ٥٧ - المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع(ت: ٤٠٥هـ)، ط/ دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، سنة(١٤١١، ١٩٩٠)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.
- ٥٨ - المستشرقون، لنجيب العقيقي، ط/ دار المعارف، الطبعة الخامسة(٢٠٠٦م).
- ٥٩ - المستشرقون في الميزان، لأبي مجاهد عبد العزيز بن عبد الفتاح بن عبد الرحيم بن الملاً محمد عظيم القارئ المدني، ط/ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة السابعة، العدد الأول، رجب(١٣٩٤هـ)، أغسطس(١٩٧٤م).
- ٦٠ - المستشرقون والسنة، للأستاذ الدكتور سعد المرصفي، ط/ مكتبة المنار الإسلامية ومؤسسة الريان، بيروت - لبنان.
- ٦١ - مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني(ت: ٢٤١هـ)، ط/ مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، سنة(١٤٢١هـ، ٢٠٠١م)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي.
- ٦٢ - المصنف، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني(ت: ٢١١هـ)، ط/ المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، سنة(١٤٠٣)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.
- ٦٣ - المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي(ت: ٢٣٥هـ)،

ط/ مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى (١٤٠٩)، تحقيق: كمال يوسف الحوت.

٦٤- المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، الطبراني(ت: ٣٦٠هـ)، ط/ مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة الثانية، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.

٦٥- معجم اللغة العربية المعاصرة، للدكتور/ أحمد مختار عبد الحميد عمر(ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، ط/ عالم الكتب، الطبعة الأولى، سنة(١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م).

٦٦- معجم متن اللغة "موسوعة لغوية حديثة"، لأحمد رضا(عضو المجمع العلمي العربي بدمشق"، ط/ دار مكتبة الحياة - بيروت، سنة(١٣٧٧ : ١٣٨٠هـ).

٦٧- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ط/ دار الفكر، سنة(١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م)، تحقيق: عبد السلام هارون.

٦٨- مقدمة ابن الصلاح، لعثمان بن الصلاح عبدالرحمن بن موسى بن أبي النصر الشافعي(٥٧٧هـ: ٦٤٣هـ)، ط/ دار المعارف، تحقيق: د/ عائشة عبد الرحمن(بنت الشاطئي) أستاذ الدراسات العليا، كلية الشريعة بفاس، جامعة القرويين.

٦٩- مقدمة في أصول التفسير، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني(ت: ٧٢٨هـ)، ط/ دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، سنة(١٤٩٠هـ، ١٩٨٠م).

٧٠- مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ/ محمد عبد العظيم الزرقاني(ت: ١٣٦٧هـ)، ط/ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.

٧١- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، لمحمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي(ت: بعد ١١٥٨هـ)، ط/ مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، الطبعة الأولى، سنة(١٩٩٦م)، تقديم وإشراف ومراجعة: د/ رفيق

العجم، تحقيق: د/ علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د/ عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د/ جورج زيناني.

٧٢- موسوعة المستشرقين، للدكتور/ عبد الرحمن بدوي، ط/ دار العلم للملايين، بيروت.

٧٣- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، ط/ دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة (١٣٨٢هـ، ١٩٦٣م)، تحقيق: علي محمد البجاوي.

٧٤- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، ط/ دار إحياء التراث - بيروت، سنة (١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى.

